النزاع والتخاصم فيما بينبني أمية وبني هاشم

تائیف **تقی الدین المقریزی** ۷٦٦ - ۸٤۵ هـ

إعداد وتعليق **صالح الورداني**

> الأعراب و اسم أ**رك كي أ**

اسم الكتــاب، النزاع والتخاصم

المسؤلسف؛ تقى الدين المقريزي

الناشـــر، الهدف للاعلام

رقسم الإيسداع: ٩٩/١١٥٦٠

الترقيم الدولى، 2-15-5751

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتعريف

كتاب النزاع والتخاصم للمقريزى، هو الكتاب الذى نقدمه للقراء الكرام، نظرًا لأهميته التأريخية، وقيمته الدينية. فمؤلفه هو،

احمد بن على بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن تميم بن عبدالصمد بن ابى الحسن بن عبدالصمد بن ابي الحسن بن عبدالصمد بن تميم التقى بن العلاء بن المحيوى الحسينى العبيدى البلعلبكى الأصل، القاهرى المولد، أبو العباس، المعروف بالمقريزى نسبة لحارة في بعلبك، تعرف بحارة المقارزة.

انتقلت عائلة المقريزي إلى القاهرة من بعلبك في حياة أبيه على بن عبدالقادر، الذي أشغل بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء، ثم بالكتابة في ديوان الإنشاء بالعاصمة.

ولد أبو العباس المقريزي على الأرجح سنة ٧٦٦هـ، فقد ذكر السخاوي بأن، «مولده حسبما كان يخبر به، ويكتبه بخطه بعد الستين« وقال السخاوي: «قال شيخنا ابن حجر إنه رأى بخطه مايدل على تعيينه في سنة ٧٦٦هـ، وذلك بالقاهرة(١)«.

وإلى هذا ذهب كل من ابن العماد الحنبلى، والشوكانى^(٢) حيث ايَّد السخاوى في رايه باتَّه ولد عام ٧٦٦هـ.

⁽١) الضوء اللامع، ٢/٢١.

⁽٢) شذرات الذهب، ٢٥٤/٧، والبدر الطالع، ٢٩/١.

ویری ابن تغری بردی، وعلی مبارك؛ بانه ولد بعد سنة ستین وسبعمائة بسنوات (۳).

وهناك من يذهب إلى انَّه هو نفسه قد ذكر بانَّ ولادته بعد سنة ستين وسبعمائة (١) ولقد كانت ولادته في القاهرة، ونشأ بها، فقد تكفل تعليمه الابتدائي، وحفظه القرآن جده لأمه شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن على الحنفي، المعروف بسبط ابن الصائغ.

ثم انكب على الدرس والتحصيل بإشراف مجموعة من فضلاء عصره بحيث اظهر في صغره مقدرة كافية لتكوين شخصيته، حتى كان موضع عناية اساتذة العصر.

وما أن وصل إلى عتبة العشرين من عمره، أو جاوزها بقليل حتى كانت له الأهلية التامة لأن يطوف على صفوة أعلام زمانه، ويلتقى بكبارهم ويجالس اثمتهم، وينتهل من نميرهم العلمي والأدبي.

ولقد ذكرت لنا بعض المصادر جملة ممن اخذ منهم تحصيله العلمى وكذلك عددًا ممن استجازهم، وفي مقدمة اولئك،

الشيخ برهان الدين إبراهيم بن احمد بن عبدالواحد النسائى المتوفى عام ١٠٠ه، والحافظ نور الدين على بن ابى بكر بن سليمان الهيثمى الشافعى المتوفى ١٠٠ه. كما له اجازة من بهاء الدين ابى البقاء احمد بن على السبكى وشهاب الدين احمد بن حمدان بن احمد الأذرعى الشافعى وغيرهما.

⁽٣) المنهل الصافى، ١/٣٩٤، والخطط التوفيقية، ٩/٦٩.

⁽٤) مقدمة النزاع والتخاصم طبعة النجف ١٣٦٨هـ.

وقال السخاوى: «وإن شيوخه بلغت ستمائة نفس^(٥) « وتمكن المقريزى من تكوين ششخصيته العلمية والأدبية، وبدا نجمه يلمع فى اوساط القاهرة، كفاضل لا يستغنى عنه، واديب استطاع أن يوجه إليه الأنظار، ومؤرخ واسع الاطلاع بحيث جلب إليه الانتباه.

ومن اجل طلب العلم رحل إلى مكة مرتين، وظل مقيمًا بها في المرة الثانية حتى سنة ٨٣٩هـ، كما سافر إلى الشام، واتصل بعدد من الأعلام وامضى بقية حياته بعد ذلك في القاهرة منصرفا إلى الدراسة العميقة والتأليف في مختلف علوم عصره، وكان من المكثرين المجيدين (٦).

ولقد جمع إلى جانب معلوماته العلمية والتاريخية والأدبية، خبرة واسعة بالاصطرلاب والرمل، وامثالها(٧).

واستمر مع الأيام يرتفع فيها صيته، ويشتهر ذكره، حتى أصبح علمًا من الأعلام وشاخصًا في المؤرخين، معظمًا في الدول، تضرب به الأمثال^(٨).

لكن المقريزى اتجه باهتمامه الكبير نخو التأريخ، فقد كان مغرى به، معنيا بتحقيقه والتأليف فيه، وتدوين نوادره، حتى وصفته المصادر بأنه، «عرف منه جزء كبيرًا معرفة تامة وحفظ منه كثيرًا عن ظهر قلب«.

⁽٥) الضوء اللامع: ٢٠ ٢/٢

⁽٦) دراسة عن المقريزي في مجلة الرسالة المصرية، ص١-١٩٤ ص١٦.

⁽۲) الضوء اللامع، ۲/۲۳.

⁽A) شذرات الذهب، ۲۵۲ /۲.

وقال ابن تغرى بردى - وهو من مؤرخى مصر المعروفين -: «وفى الجملة هو (المقريزي) اعظم من رايناه في علم التاريخ وضروبه، مع معرفتي لمن عاصره من علماء المؤرخين، والفرق بينهم ظاهر ^(٩)«.

ورغم ما اكده العلماء، وكتّاب التاريخ بأنَّ المقريزي من الطراز الأول في تدوين التاريخ ووفرة الاطلاع فيه، فإنَّ المقريزي نفسه أكد لنا أيضًا بأنَّه ضرب في باقى أنواع المعرفة قدحه وشارك في اكثر من نوع واحد من انواع المعرفة فلقد سجل لنا ثبت مؤلفاته انَّه ترك للمكتبة الإسلامية العربية مؤلفًا في علم الكلام، والعقائد والتوحيد، وآخر في الحديث، وثالثًا في السكة، والأوزان والمقاييس، كما كتب في المعادن، والطب والموسيقي وغير ذلك من العلوم التي تتعلق بحياة المجتمع، بحيث بلغت مؤلفاته مايزيد على المائة مجلد.

وبعد هذا فهو شاعر مجيد وإن لم تسجل لنا المصادر نماذج كثيرة من شعره، غير أنَّ السخاوي نقل عن شيخه بأنَّ له نظمًا فائقًا، وشعرًا زائقًا، ومما قاله في وصف دمياط:

> سقى عهد دمياط وحيا من عهد ولا زالت الأنواء تسقى سحابها فيا حسن هاتيك الديار وطيبها وبشنينها الريان يحكى متيَّمُا فقام على رجليه في الدمع غارقا

فقد زادنی ذکراه وجدا علی وجد ديارًا حكت من حسنها جنة الخلد فكم قد حوت حسنا يجل عن العد فلله انهار تحف بروضها لكالمرهف المصقول او صفحة الخد تبديل من وصل الأحبة بالصد يراعى نجوم الليل من وحشة الفقد

مجلة الرسالة، س١، ع١٩، ص١٧. (9)

وظل على الأقدام تحسب أنه ولا سيما تلك النواعيير إنّها اطارحها شجوى وصارت كأنما فقد خلتها الأفلاك فيها نجومها وفي البرك الغراء يا حسن نوفر سماء من البلور فيها كواكب وفى شاطئ النيل المقديس نزهمة وتنشى رياحًا تطرد الهم والأسي وفي مرج البحرين جم عجائب كأنَّ التقاء النيل بالبحر إذ غدا وقد نزلا للحرب، واحتدم اللقا فظلا كما باتا وما برحا كما هما فكم قد مضى لى من أفانين لذة وكم قد نعمنا في البساتين برهة وفى البرزخ المأنوس كم لى خلوة هناك ترى عين البصيرة ما ترى فيارب هينئ لي بفيضلك عودة

لطول انتظار من حبيب على وعد تجدد حزن الواله المدنف الفرد تطارح شكواها بمثل الذي أيدي تدور بمحض النفع منها وبالسعد حلا وغدا بالزهو يسطو على الورد عجيبة صبغ اللون محكمة النضد تعيد شباب الشيب في عيشه الرغد وتنشى ليالى الوصل من سيبها عندى تلوح وتبدو من قريب ومن بعد مليكان ثارا في الجحافل من جند ولا طعن إلا بالمشقفة الملد من جليل الخطب في اعظم الحهد بشاطئها العذب الشهى لذى الورد بعیش هنیء فی امان وفی سعد وعند شطاعن ايمن العلم الفرد من الفضل والإفضال والخير والجد ومن بها في غير بلوى ولا جهد(١٠)

هذه هى المقطوعة الشعرية الوحيدة التى إشارت لها المصادر الأدبية وذكرها هو في إحدى مؤلفاته (١١).

وإذا حاولنا أن ندرس جوانب اخرى من سماته الشخصية، غير الناحية العلمية

⁽١٠) الخطط المقريزية، ١/٣٦٢.

⁽١١) المنهل الصافى، ٣٩٩/ هامش ١.

والأدبية، فقد اجمع معاصروه على انه كان رجلا فاضلا دينا، مجداً، امينا في عمله، على جانب عظيم من حسن الخلق، وكرم العهد، وكثرة التواضع، وعلو الهمة لمن يقصده، والمحبة في المذاكرة وحسن الصلات، ومزيد الطمانينة، والملازمة لسنة، محمود السيرة في مباشراته، وقد لخص ابن حجر هذا كله بقوله، «وكان حسن الصحبة حلو المحاضرة (۱۲)».

وختمت بعض المصادر حديثها عنه بقولها، «قد انقطع في داره ملازمًا للخلوة، والعبادة، قلَّ ان يتردد على احد إلا لضرورة (١٣) «،

وبالنسبة لمذهبه فتؤكد لنا المصادر بانّه انحدر من اب حنبلى وانَّ جده لأبيه كان فقيها حنبليا، وحجة في الحديث، اما جده لأمّه - وهو ابن الصائغ - فقد كان فقيها حنفيا.

ولكنَّ المقريزى تفقه فى شبابه على المذهب الحنفى تبعاً لجده لأمه وحفظ مختصرا فيه ثم لما ترعرع - وذلك بعد وفاة والده فى سنة ٢٨٦ه وهو حينئذ قد جاوز العشرين تحوَّل شافعيا، واستقر عليه امره، ولكنَّه كان مائلاً إلى المذهب الظاهرى، ولذلك قال السخاوى، «وقال شيخنا - ويقصد ابن حجر - انَّه احب الحديث فواظب على ذلك، وحتى كان يتهم بمذهب ابن حزم، ولكنَّه كان لا يعرفه (١٤) «.

ويقول ابن العماد، «وكان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم، لميله إلى --

⁽١٢) الضوء اللامع: ٢/٢٤.

⁽١٣) نفس المصدر المتقدم.

⁽١٤) الضوء اللامع: ٢/٢٢.

المذهب الظاهر (١٥)«.

وقال ابن تغرى بردى فى هذا الصدد، «وتفقه على مذهب الحنفية وهو مذهب جده لأمه، ثم تحول شافعيًا بعد مدة طويلة لسبب من الأسباب ذكره لى(١٦)«.

اما المصادر الحديثة فيقول الدكتور محمد مصطفى زيادة، «وكفل تعليم الصبى جده لأمه فاخذ بتنشئته على اصول المذهب الحنفى، ولما مات ابوه عام ٧٨٦هـ ترك المذهب وانتقل إلى الشافعية، ودرس الفقه دراسة واسعة، واخذ بعدئذ يهاجم الحنفية في عنف استجلب لوم معاصريه له (١٧)«.

واكاد اطمئن بأنَّ المقريزي قد انتهى إلى الشافعية لأمرين،

أولاً؛ لذهاب أغلب المؤرِّخين والباحثين إلى القول بكونه شافعي المذهب.

ثانيًا: لعدم تحامله على آل البيت عليهم السلام، وحبه لهم وإنَّ المتتبع لمؤلفاته يرى أنَّه لم يحاول المساس بهم بما يشين كرامتهم، وتكاد تكون هذه طبيعة عامة الشافعيين إلا ما شذ.

وبعد هذا كله، فلقد ملك المقريزى كل المقومات العلمية والأدبية والاجتماعية التى الهنائلة لأن ينال لدى المسؤولين مكانة كبيرة، وعناية خاصة، وكان من الطبيعى ان تحتضن دار الإنشاء في القاهرة هذه الشخصية، ولما ابدى فيها الكفاءة والمقدرة الفائقة تنقل بعد ذلك في عدة مناصب كبيرة في الدولة، وكان في خلالها مثال الموظف المستقيم

⁽١٥) شذرات الذهب، ٢/ ٢٥٥.

⁽١٦) المنهل الصافى: ١/٣٩٤.

⁽١٧) المؤرخون في مصر؛ مجلة الثقافة س١، ع١٩، ص١٥.

يحب الخير ويعمل من اجله، ويؤدى واجبه كموظف يرى خير ما يجب عليه أن يقوم بما التزم به بكفاءة وقابلية.

ولقد بقى كاتبًا فى ديوان الإنشاء حتى سنة ٧٩٠هـ، ثم غدا بعد فترة قليلة نائبًا من نواب الحكم عند قاضى القضاة الشافعي، ثم إمامًا لجامع الحاكم، ومدرّسًا للحديث بالمدرسة المؤيدية.

وفى سنة ١٠٨هـ اختاره السلطان برقوق - وكان حفيًا به مشجعًا إياه - لوظيفة محتسب القاهرة، والوجه البحرى - وهى من مناصب القضاء الهامة يومئذ - ثم بعد فترة من الزمن عزل عنها، وعاد لتوليتها بعدئذ في ايام الدودار الكبير سودون، ابن اخت الظاهر.

وفى سنة ٨١١هـ انتقل المقريزى إلى دمشق ليتولى النظر على اوقاف القلانسية والمارستان السورى، والتدريس فى مدرستى الأشرفية، والاقبالية بمادة الحديث، ثم لم يلبث أن اختاره السلطان فرج بن برقوق لأن يكون قاضيًا بدمشق، ثم تنقّل بعدها فى عدة مناصب، وطال به المكث فى دمشق، فقد كانت إقامته فيها ما يقارب عشر سنوات، يتولى فيها مختلف المناصب.

واثر فى نفسه عامل السَّام من الوظائف الحكومية، لذا فقد طلب من المسؤولين اعفاءه عن كل منصب، واستجابت الحكومة لطلبه. فترك دمشق واعمالها، وعاد إلى القاهرة ليتفرَّغ إلى البحث والكتابة (١٨).

⁽١٨) راجع في هذا الصدد المصادر التالية؛ الضوء اللامع؛ ٢/٢٢، والمنهل الصافى؛ ١/٣٩٩، ومصر الإسلامية؛ ٤٥، المؤرخون في مصر مجلة الثقافة؛ س١. ع١٩. ص١٥.

وهنالك ظاهرة في حياة المقريزي جديرة بالعناية والاهتمام، تلك هي تعصّبه لوطنه وتكريس جهوده له، والتغني في محاسنه، وكل ذلك «ينم عن الحب العميق الذي كان يملأ جوانح المؤرخ نحو وطنه، ومسقط راسه، وعما كان يحدوه من شغف الوفاء بتخليد آثار هذا الوطن وتدوين محاسنه وسعاداته، ورثاء مصائبه ومحنه (١٩)«.

ولقد كرس جزءًا كبيرًا من مؤلفاته في التحدث عن مصر، وقد طغت هذه الظاهرة عليه حتى عبَّر عنها نفسه فقال في مقدمة خططه، «وكانت مصر مسقط رأسي، وملعب أترابي ومجمع ناسي، ومغني عشيرتي وحامتي، وموطن خاصتي وعامتي، وجؤ جؤى الذي ربي جناحي في وكره وعش مأربي، فلا تهوى الأنفس غير ذكره، لا زلت مذ شذوت العلم وآتاني ربي الفطانة والفهم، أرغب في معرفة أخبارها، وأحب الإشراف على الإغتراب من آبارها، وأهوى مسألة الركبان عن سكان ديارها فقيَّدت بخطي في الأعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قلَّ ما يجمعها كتاب...الخ(٢٠)«.

وهكذا كان، فلو القينا نظرة على ثبت مؤلفاته، راينا الله خص مصرواخبارها بقسط وافر من مجهوده، ضمنها تاريخ مصر، والدول التي تعاقبت عليها، وعلى سبيل المثال نذكر ما توصلنا إليه في هذا الصدد،

۱- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار؛ ويعرف «بخطط المقريزي« ويقع الكتاب في اربعة اجزاء، ويشتمل على تاريخ مصر بصورة مفصلة وقد طبع عدة طبعات.

٢- السلوك لمعرفة دول الملوك؛ وهو تاريخ مصر من سنة ٥٧٧ إلى سنة ٨٤٤هـ،

⁽١٩) مصر الإسلامية: ٢٦.

⁽۲۰) الخطط المقريزية: ۲-۳/۱.

قال جرجى زيدان، «ذكر فيه انه لما اكمل كتاب «عقد جواهر الأسفاط» وكتاب «اتعاظ الحنفا» وهما يشتملان على من ملك مصر من الأمراء والخلفاء، وما كان فى ايامهم من الحوادث منذ فتحت إلى أن زالت دولة الفاطميين، أراد أن يصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم، من الأكراد، والأتراك، والجراكسة، غير مقيد فيه بالتراجم والوفيات، فألف هذا الكتاب، رتبه على السنين بذكر حوادث السنة، ثم يترجم من مات فيها من الأعيان ترجمة مختصرة، وإنما يطيل فى الحوادث (٢١)».

نشر هذا الكتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة في عدة أجزاء في القاهرة.

٣- المقفى أو التاريخ الكبير، وصف فيه معيشة الأمراء والمشاهير الذين أقاموا بمصر ربّبه على الحروف الأبجدية، وقدر أنه يستفرق ثمانين مجلدًا لم يظهر منه إلا ١٦ مجلدًا، منها ثلاثة مجلدات في ليدن، ومجلد في باريس كلها بخط المؤلف.

٤- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، وهو معجم لتراجم الأعيان من معاصريه في ثلاثة مجلدات، منه قطعة في حرف الألف واخرى في حرف العين بخط المؤلف في غوطا.

0- اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، وهو تاريخ الدولة الفاطمية، منه نسخة في غوطا بخط المؤلف، عنى المستشرق بونز بنشرها سنة ١٩١١م في غوتنجن، ولايبزك ١٩٠٩م ص ١٥١ وهذه النسخة طبعت بمطبعة دار الأيتام السورية بالقدس الشريف، كما نشرها الدكتور جمال الدين الشيال في القاهرة.

⁽٢١) تاريخ آداب اللغة العربية: ١٩١/٣.

7- البيان والإعراب عما في ارض مصر من الأعراب: منها نسخة في فينًا، وباريس، ودار الكتب المصرية، وقد ترجمها وستنفلد إلى الألمانية، ونشرها في غوتنجن سنة ١٨٤٧م في ثلاثة اجزاء.

٧- عقد جواهر الأسفاط في اخبار الفسطاط؛ قال جرجي زيدان لم نقف على خبره (۲۲).

٨- إغاثة الأمَّة بكشف الغمة، وهو تاريخ المجاعات التي نزلت بمصر منذ اقدم العصور حتى سنة ٨٠٨هـ، وهو العام الذي وضع المؤلف فيه كتابه المذكور وقد نشره الأستاذان، زيادة والشيال بالقاهرة ١٩٤٠.

٩- تاريخ الأقباط، أو أخبار قبط مصر، قال سركيس، «وهذا الكتاب مستخرج من كتاب المواعظ والإعتبار «الخطط» وقد طبع مرّتين،

الأولى: باسم «دخول قبط مصر في دين النصرانية ومعه ترجمة لاتينية باعتناء الأستاذ ونزر في سالباشي ١٨٢٨م، ص ٢٤ و ٢١٥.

والثانية؛ باسم «اخبار قبط مصر» باعتناء العلامة وستنفلد في غوتا ١٨٤٥م ص ١٧٢ و ٧٠ وباعتناء الأستاذ هماكر في امستردام سنة ١٨٢٤م(٢٣)».

هذه الكتب الرئيسية التى خصها المقريزى من سلسلة مؤلفاته بتاريخ مصر وبحث فيها جميع جوانبها العلمية والأدبية والاجتماعية، وهناك الكثير من البحوث التى تخص وطنه نراها منتشرة في ثنايا مؤلفاته غير المخصوصة بمصر، كالبحث عن الدول -----

⁽٢٢) تاريخ آداب اللغة العربية، ١٩٧/٣.

⁽٢٣) معجم المطبوعات العربية: ١٧٨٠/٢.

المجاورة لمصر ومدى علاقتها بها وتاريخ النقود المصرية، وغير ذلك.

ولست مبالغا إذا ادعيت؛ أنَّ المقريزى كان يود أن يزج حديث مصر فى كل كتاب يؤلفه تأكيدا على حبه لها، وهذه الظاهرة طغت على أكثر من جانب من نتاجه العلمى أو الأدبى، أو التاريخى، أو أى جانب آخر من المواضيع التى كتبها.

ومن الجدير وقد بلغ بنا الحديث إلى مؤلفاته أن نستعرض ما كتب والف، فقد ذكر السخاوى قائلاً: «قرات بخطه أنَّ تصانيفه زادت على مائتى مجلدة كبارًا (٢٤)«.

وأكدت بعض المصادر أنَّه كان مثابرًا على التأليف والبحث، ولم يمسكه عن المزيد منها غير مرضه الطويل، ثم وفاته.

قال جرجى زيدان: «ثم استقر فى القاهرة، وانقطع للعلم واشتغل بالتاريخ، والف فيه مؤلفات مهمة، هى مرجع الناس فى حالة مصر السياسية والاجتماعية فضلاً عن التاريخ(٢٥).

والحقيقة أنَّ المقريزى قد ولع بالجانب التاريخى، واولى عناية خاصة فيه بحيث اضطر مترجموه أن يعترفوا بهذه الحقيقة، ولقد ذكر ابن تغرى بردى وهو خليفته في هذا الاتجاه ما يؤكد على هذا الإدعاء.

يقول: «وفي الجملة هو اعظم من رايناه في علم التاريخ وضروبه مع معرفتي لن

⁽٢٤) الضوء اللامع: ٢/ ٢٢.

⁽٢٥) تاريخ آداب اللغة العربية، ١٩٠ /٣.

عاصره من علماء المؤرخين، والفرق بينهم ظاهر (٢٦)«.

وكذلك السخاوى المؤرخ المصرى الذى ينازع المقريزى مكانته يعترف، فيقول، «وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئًا كثيرًا، وصنَّف فيه كتبًا وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيرًا منه (۲۷) «.

وكانت حصيلة هذه الوفرة العلمية المؤلفات التالية،

- ١- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقريزي.
 - ٢- السلوك لمعرفة دول الملوك.
 - ٣- المقفيَّ، أو التاريخ الكبير.
 - ٤- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة.
 - ٥- اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا.
 - ٦- البيان والاعراب عما في أرض مصر من الأعراب.
 - ٧- عقد جواهر الأسفاط في أخبار الفسطاط.
 - ٨- إغاثة الأمة بكشف الغمة.
 - ٩- تاريخ الأقباط، او أخبار قبط مصر (٢٨).
- ١٠٠ الدرر المضية في تاريخ الدولة الإسلامية، من مقتل عثمان إلى المستعصم
 آخر الخلفاء العباسيين، نسخة منه في كمبريدج.
- ۱۱- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، في ستة مجلدات حدث به في مكة والمدينة، منه نسخ في غوطا وكوبرلي، ودار الكتب المصرية.

⁽٢٦) مجلة الثقافة: س١. ١٩٤. ص١٧.

⁽٢٧) الضوء اللامع، ٢/٢٤.

⁽۲۸) . تقدم الحديث عن هذه الكتب.

11- نبذة العقود في امور النقود (او شذور العقود)، يشتمل على تاريخ النقود العربية، تكلّم عن النقود القديمة عند الفرس والروم واجزائها، ثم النقود الإسلامية، وتاريخها في الجاهلية، وما كان ينقش عليها، ثم تكلم عن نقود مصر في ايامه، منها نسخ في برلين وليدن والاسكوريال، ونقلت إلى الايطالية، وطبعت في روستك سنة ١٧٩٧ بهمة الأستاذ تيكس وترجمها دي ساسي إلى الفرنسية ونشرت في باريس سنة ١٧٩٧، وقد طبعت في مصر سنة ١٢٩٨هـ، كما طبعها الأب إنستاس في ضمن كتاب النقود العربية وعلم النميات سنة ١٩٣٩م في القاهرة وطبعت في النجف الأشرف في الطبعة الحيدرية قبل ٢٥ عامًا تقريبًا.

17- المكاييل والموازين الشرعية، رسالة تبحث في المكاييل والموازين العربية بالنظر إلى الشرع والعرف العام، منها نسخة في ليدن واخرى في دار الكتب المصرية في ١٨ صفحة، وقد ترجمت إلى الإيطالية وطبعت في روستك سنة ١٨٠٠م ص ٢٠ و٨، باعتناء الأستاذ رنك.

١٤- مقالة لطيفة وتحفة سنية شريفة؛ في حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر والرسالة في المتحف البريطاني.

١٥ - ضوء السارى في معرفة خبر تميم الدارى؛ في المتحف البريطاني.

17- النحل عبر النحل؛ في النحل ومملكته، والعسل واسمائه وما يتصل بذلك في علم الحيوان والنبات، نسخة منه في كمبريدج ونشرها جمال الدين الشيال سنة ١٩٤٦م بمصر.

۱۷- الطريقة الغريبة في اخبار حضرموت العجيبة (او الطرفة الغريبة)، رسالة في إرشاد الحاج لطريق مكة. في كمبريدج، وقد طبعت في بون، مصورة ومشروحة سنة ١٨٦٦م، باعتناء الأستاذ سكوى عربي ولاتيني.

۱۸- الإلمام بمن في ارض الحبشة من ملوك الإسلام، كتاب صغير طبع في بتافيا مع ترجمة فرنسية سنة ۱۷۹۰م، وفي مصر سنة ۱۸۹۵م مطبعة التأليف ص ۲۷، ومطبعة الموسوعات.

19- معرفة ما يجب لآل البيت الشريف من الحق على من عداهم منه نسخة في فيناً.

•٢- الذهب المسبوك فى معرفة من حج من الملوك؛ ذكر فيه ٢٦ نفرًا، أولهم الرسول فالخلفاء الراشدون، ومن بعدهم إلى أيامه فى خمسة أجزاء، ومنه نسخة فى كمبريدج.

٢١- الإشارة والأسماء إلى حل لغز الماء: في دار الكتب المصرية.

٢٢- إزالة التعب والعناء في معرفة حال الغناء، في باريس.

٢٣- ذكر ما ورد في بني أمية وبني العباس من الأقوال، منه نسخة في فينًا.

14- كتاب الخبر عن البشر؛ وهو كبير في ستة اجزاء، ذكر فيه القبائل وانساب الرسول (ص)، منه نسخ في أيا صوفيا، وفي خزانة الفاتح وفي ستراسبورج، وقال جرجي زيدان، ونقلت عنه مجلة المشرق فصلا في تاريخ الكتابة العربية في الإسلام (سنة ١٠ صفحة ٤٧٨)(٢٩).

70- تراجم ملوك الغرب؛ فيه اخبار أبى حمو، ومن خلفه على تلمسان، منها نسخة في ليدن، وفينًا في جملة مجموعة، فيها بضعة عشر مؤلفًا من مؤلفات المقريزي التي تقدم ذكرها.

77- البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد، وفي بعض المصادر ورد اسمه (تجريد التوحيد المفيد) نسخة منه في دار الكتب المصرية، وورد ذكره في فهرست مخطوطات مكتبة جسر بتي ليدن ٤٥١ برقم ١٤٩٦.

77- جنى الأزهار من الروض المعطار: ذكره جرجى زيدان وقال: «منه نسخة فى دار الكتب المصرية فى 117 صفحة ذكر فيها انه خلاصة «الروض المعطار فى عجائب الأقطار» وفيه وصف أهم الأقاليم ومساحاتها، وفى صدر هذه النسخة سمى المؤلف شهاب الدين المقريزي فإذا صحت التسمية، كان المؤلف احد اعقاب تقى الدين

⁽٢٩) تاريخ آداب اللغة العربية: ١٩٤/٣.

المقريزي، لأنَّ الروض المعطار الذي لخصه، تأليف ابى عبدالله الحميري المتوفى سنة همين المعاري المتوفى سنة المعارين المقريزي بنصف قرن (٢٠)«.

۲۸- تاریخ الجراکسة: قال جرجی زیدان: لعله مقتطف من کتاب (واسطة السلوك فی دول الملوك) (۳۱)

٢٩- مجمع الفرائد ومنبع الفوائد، ويشمل على علمى العقل والنقل المحتوى على
 فنى الجد والهزل، بلغت مجلداته نحو المائة، هكذا نقل السخاوى (٣٢).

- ٣٠- ما شاهده وسمعه مالم ينقل في كتاب.
- ٣١- المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية.
 - ٣٢- السير في سؤال خاتمة الخير.
- ٣٣- الإشارة والكلام ببناء الكعبة بيت الله الحرام، ومختصره.
 - ٣٤- الإخبار عن الإعدار.

٣٥- شارع النجاة؛ اشتمل على ما اختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها
 مع بيان ادلتها، وتوجيه الحق فيها.

٣٦- النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم، وهو الكتاب الذى نحن نقدمه للقراء الكرام، وقد نصت عليه كل المصادر التي تترجم للمقريزي.

وتكاد تكون هذه اهم مؤلفات المقريزي حسبما ذكرتها مجموعة من المصادر القديمة منها والحديثة.

⁽٣٠) تاريخ آداب اللغة العربية: ١٩٣ /٣.

⁽٣١) نفس المصدر: ١٩٢.

⁽٣٢) انفرد بذكر هذا الكتاب والكتب التي تليه السخاوي في الضوء اللامع: ٢٢-٢٤/٢، وقد اقتصر على ذكر الاسم فقط.

بقى ان نعرف مدى قابليته على الضبط والاتقان فى النقل التاريخى وباقى الجهات العلمية، وأول ما يطالعنا فى ذلك شمس الدين السخاوى - والذى يعتبر من أعلام عصره - فقد أنكر عليه فضل وضعه وابتكاره لأنفس مصدر فى تاريخ مصر الإسلامية، ذلك هو خططه، ونسب إليه النقل والتزييف، وحمل عليه بشدة، ورماه بالادعاء والضعف والسقط.

ولنقرا له - فقرة وردت فى ترجمته يقول فيها: «وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة فى الجاهلية، وغيرها، واما الوقائع الإسلامية، ومعرفة الرجال واسمائهم والجرح والتعديل، والمراتب والسير وغير ذلك من اسرار التأريخ ومحاسنه فغير ماهر فهه (٢٣) «.

ويقول في مناسبة أخرى، وفي ضمن ترجمته له أيضًا، «وكان حسن المذاكرة بالتأريخ، ولكنَّه قليل المعرفة بالمتقدمين، ولذلك كثر فيهم وقوع التحريف والسقط، وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو واطلاع على أقوال السلف، وإلمام بمذاهب أهل الكتاب، حتى كان يتردد إليه أفاضلهم للإستفادة منه، مع حسن الخلق، وكرم العهد، وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده، كل ذلك مع تبجيل الأكابر له، إما مداراة له خوفا من قلمه أو لحسن مذاكراته (٢٤).

ولعل القارىء قد لمس محاولة السخاوى في الحط من شخصية المقريزي من خلال هاتين الفقرتين.

ولكنَّ السخاوي يذهب إلى أبعد من هذا الحد في الانتقاص فيدعى في موضع

⁽٣٣) الضوء اللامع: ٢/٢٣.

⁽٣٤) الضوء اللامع: ٢/٢٢.

آخر من مؤلفاته بأنَّ المقريزى، «اقام ببلدة عاكفا على الاشتغال بالتاريخ، حتى اشتهر ذكره، وبعد فيه صيته، وصارت له جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد، لكونه ظفر بمسودة الأوحدي فأخذها وزادها زوائد غير طائلة (٣٥)».

وإذا كان السخاوى قد رمى زميله المقريزى بعدم الضبط فى الفقرتين المتقدمتين، ففى هذه المرة رماه بالإختلاس، وهذه تهمة كبيرة جدًا بالنسبة لمؤرخ حاز المكانة الأولى في آثاره وتصانيفه.

وذهب السخاوى يؤكد هذا المعنى في اكثر من موضع، تارة بالتلويح، واخرى بالصراحة، كل ذلك ليحكم الطعن الذي وجهه إلى زميله المؤرخ الذي نال اهتمام الملوك والزعماء واهل العلم والأدب في حينه.

ولكن الذى يرجع إلى كتب السخاوى، ويقرا ما يكتبه من التراجم يستطيع ان يخرج بنتيجة واضحة فى اسلوب ونفسية السخاوى تلك هى مهاجمته لأكابر عصره، وانتقاصه لأقدارهم، ونقده لجهودهم ففى (الضوء اللامع) ما يكفى التدليل على هذا الادعاء، ولقد اصاب ابن خلدون، والبقاعى، وابا المحاسن ابن تغرى بردى ما اصاب المقريزى من لوم وتقريع من السخاوى ولقد الف جلال الدين السيوطى مقامة شديدة كتبها للرد على السخاوى، اسماها (الكاوى على تاريخ السخاوى) قال فيها، «ماترون فى رجل الف تاريخا جمع منه اكابر واعيانا، ونصب لأكل لحومهم خوانا ملأه بذكر المساوي، وثلب الأعراض، وفوّق فيه السخاوى سهامًا على قدر اغراضه (٢٦)«.

⁽٣٥) التبر المسبوك في ذيل السلوك؛ ٢١ ط بولاق.

⁽٣٦) مصر إسلامية؛ ٥٧ عن مخطوطة المقامة، وجاء في هامش ٣ من الكتاب والصفحة؛ انَّ كتاب (١٥١٠). (الكاوى على تاريخ السخاوى) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم (١٥١٠ - ادب).

ولقد اصبح موقف السخاوى والمقريزى موضع دراسة واهتمام كثير من الباحثين وخاصة لدى المستشرقين، فمنهم من وقف إلى جانب السخاوى وآخر اكد على نظافة المقريزي من هذه التهمة.

واستمر المقريزى فى نشاطه العلمى والأدبى، مثابرًا على التأليف والبحث ولم يمسكه عن المزيد منها غير مرضه الطويل، ثم وفاته عام ٥٤٨هـ بالقاهرة، وذهب السيوطى إلى أنَّ وفاته كانت عام ٠٤٨هـ ودفن فى مقبرة الصوفية، خارج باب النصر من القاهرة.

ولم تشر المصادر إلى ذرية له سوى ما ذكرت بعض الروايات من أنَّ له بنتا ماتت في حياته بالطاعون الذي اجتاح القاهرة عام ١٠٦هـ.

* * *

وبعد استعراضنا لحياة المؤلف بصورة عاجلة، ننتقل إلى الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه للقراء الكرام، وهو،

﴿النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم

هذا هو اسم الكتاب، وهو يشرح بوضوح ما يضم بين دفتيه، واجمعت المصادر المترجمة للمقريزي انّه من مؤلفاته.

فالنزاع بين بني هاشم وبني أمية يمتد جنوره إلى هاشم بن عبد مناف،

وابن اخيه امية بن عبد شمس، فيستعرض المقريزى جملة من الأسباب التى احكمت المنافرة بين هاشم وامية، وانتقلت بعدهما إلى ولديهما عبدالمطلب بن هاشم وحرب بن أمية وتمادت العداوة بين البيتين حتى انتقلت من رجل إلى رجل، وانتهت إلى رسول الله (ص)، وكان موقف أبى سفيان معلومًا لكل من اطلع على خطوط السيرة النبوية، وتاريخ تلك الحقبة من السنين.

ثم انتقل هذا الموقف إلى الإمام على عليه السلام، ومعاوية ابن ابى سفيان، وبعده إلى الحسين بن على «ع« ويزيد بن معاوية، وهكذا تسلسل من بيت إلى بيت، ومن رجل إلى رجل، ولقد أحكم هذا النزاع وتوثقت أسبابه على مر الأيام، وهول الأحداث، وتجسد على مسرح التاريخ بشكل تتقرّز منه النفوس من ظلم الأمويين لهذا البيت الطاهر الذي فضّله الله بالإمامة وشرّفه بالنبوّة، وخصه بكل مكرمة.

وحاول المقريزى ان يستعرض علاقة هاذين البيتين ويسجل الأسباب التى دعت إلى المنافرة وفعلا نجحت محاولته، وكان - كما أعهد - الكتاب الأول في موضوعه، إذ لم يسبقه أحد في هذا البحث، سوى ما سجلته المصادر التاريخية الكبرى في ثناياها عن سيرة بني هاشم، وبني أمية ولكن دون ان تخصهما بكتاب مستقل.

وجاء الكتاب سجلا حافلا مسلسلا عن المشاكل والخصام القائمة بين هاتين الأسرتين، والصّراع الدامى الذى دار بينهما زمانا ليس بالقصير وانتهى إلى مآسى فظيعة اسود فيها وجه التاريخ.

ولم يقتصر المؤلف على موقف الأمويين من الهاشميين فحسب، بل تناول موقف العباسيين - استطرادًا - من العلويين، وسرد الكثير من الوقائع التي جرت عليهم، من

قبل الخلفاء العباسيين وأعوانهم، والوان الضيم والظلم، والاضطهاد والجور، بحيث يقصر الحديث لو حاول الإنسان التحدث فيه.

ولعل الشاعر العربي ليس مبالعًا في قوله:

تالله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

وهذا الصرّاع الدامى الذى لاقاه الهاشميون من يومهم الأول، وحتى نهاية الدولة العباسية، وما بعده بالوانه الدامية، سواء من الأمويين أو من العباسيين أو من غيرهم ماهو إلا صراع بين الحق والباطل، والخير والشر، وكانت النتيجة غير ما قدر لها الأمويين وأضرابهم،

فهذا على والأهازيج باسمه تشق الفضا النائي فهاتوا معاويا اعيدوا ابن هند إن وجدتم رفاته رفاتا وإلا فانشروها مخازيا

وكان المقريزي موفقاً كل التوفيق في تسجيل تلك الأحداث، وتصوير تلك المآسى مما جسد طبيعة الصِّراع والأحداث بينهما خير تجسيد وافهم الناس المحق منهما من المبطل.

ولما كان هذا الموضوع وطيد الصلة بمجتمعنا الإسلامي، وإن الأمة الإسلامية تواقة للإطلاع على تفاصيل هذا الموضوع، كان من الطبيعي ان يلاقي هذا الكتاب رواجًا باهرًا، ويطبع عدة طبعات، خاصة إذا انتهينا إلى انَّ لهذا الموضوع علاقة اكيدة بعقائدنا وتقاليدنا الدينية.

ولقد عثرت على ثلاث طبعات من هذا الكتاب أسجل عنها الملاحظات التالية بإيجاز،

١- طبعة ليدن،

وقد طبعت في عام ١٨٨٨م بمدينة ليدن، ووضع لها الأستاذ جيرار دوس قوس مقدمة باللغة الألمانية، وجاء الكتاب النص العربي منه في ٧٢ صفحة وينتهى في الصفحة ١٧، اما الصفحة الأخيرة فقد جاء فيها ما يلي:

«تم هذا الكتاب والحمد لله اولا وآخرًا، وقد نقلته من نسخة موجودة عند حضرة على بك فهمى نجل المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى وبها نقص فى وسطها تركت له بياضًا على قدره، وكتبها عبدالعزيز إسماعيل الأنصارى الطهطانى فى شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٥هـ.

تم كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى امية، وبنى هاشم تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة العمدة حافظ العصر ومؤرخ الوقت ابى العباس احمد بن على بن عبدالقادر بن محمد بن تميم المقريزى الشافعي تغمده الله تعالى برحمته، واسكنه فسيح جنته، واعاد علينا من فوائد علومه وبركته وجعله رفيقا من النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين على التمام والكمال ونعوذ بالله من الزيادة والإختلال، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لانبى بعده، محمد وآله وصحبه والتابعين، نقلت هذه النسخة من نسخة نقلت من خط المؤلف في خامس عشر ذي القعدة سنة ١١٣١هـ واحد وثلاثين ومائة والف. كتبه الفقير على ابن السيد محمد الشيلاوي، غفر الله له ولوالديه، ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين«.

وفى النسخة بعض الشروح البسيطة، وتوجد نسخة من هذه الطبعة في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الأشرق.

٢- طبعة مصر؛

وتاريخ هذه الطبعة يعود إلى عام ١٩٣٧م في اول اغسطس في المطبعة الإبراهيمية في مصر، وقد قدم الكتاب الشيخ محمود عرنوس القاضي بالمحاكم الشرعية المصرية، عرف فيها المؤلف والكتاب بصورة مختصرة، وتقع في ٦ صفحات قطع الربع، واهدى الناشر إبراهيم يوسف صاحب مكتبة الأهرام الكتاب إلى الدكتور على زكى العرابي باشا.

وجاء فى المقدمة المذكورة، «وكتاب التخاصم بين بنى امية وبنى هاشم وهو الذى تقدم له هذه المقدمة، وهو معتبر من فلسفة علم التاريخ ككتاب السخاوى المسمى الإعلام بالتوبيخ، فكلاهما كتاب فلسفى يدل على مقدرة مؤلفه«.

والظاهر أنَّ الناشر اعتمد على نفس النسخة التي اعتمد عليها الناشر لطبعة ليدن، إذ جاءت نفس الفقرات التي مرت في نهاية طبعة ليدن، ويقع في ٩٠ صفحة.

والحق الناشر بهذا الكتاب رسالة للجاحظ في بني أمية، وتقع في ١٢ صفحة وقد ضمنها نقد معاوية ومن والاه.

٣- طبعة النجف،

وتاريخ هذه الطبعة عام ١٣٦٨هـ وقامت بطبعها المطبعة العلمية في النجف الأشرف، وعنى بتصحيحها الأستاذ الخطيب السيد على الهاشمي - عضو جمعية

الرابطة الأدبية في النجف الأشرف - وقد صدارها بترجمة موجزة للمؤلف تقع في صفحتين، ويقع الكتاب في ٦٢ صفحة قطع الربع والحق بها رسالة الجاحظ في بني امية المتقدمة الذكر، وتقع في ٩ صفحات وجاء في مقدمة طبع المطبعة العلمية مايلي؛

«رات المطبعة العلمية من المستحسن إعادة طبع كتاب (النزاع والتخاصم) للمؤرخ الشهير المقريزى لندرته واحتياج الكثيرين إليه، مع العلم ان لدى صاحب المطبعة نسخة خطية ذات شأن، فكلفت آنئذ الأستاذ الخطيب السيد على الهاشمى ان يقف على طبعه وتصحيحه، فلبى السيد الهاشمى هذا الطلب، وصار يقابل النسخة الخطية على النسخة المطبوعة في القاهرة، والتي نشرها - السيد إبراهيم يوسف - صاحب مكتبة الأهرام فطبعت هذه النسخة القيمة مع المحافظة على تعليقات صاحب الفضيلة الأستاذ محمود عربوس القاضى، فللأستاذين القاضى، والهاشمى جزيل الشكر والموفقية. 10 رجب - ١٣٦٨ه.

ولصلة الكتاب بعقائدنا، فقد تقرر أن يكون ضمن سلسلة مطبوعاتنا، وفعلا تحقق ما صممنا عليه، وجعلنا الركيزة الأولى للكتاب طبعة ليدن، وعليها جرت هذه الطبعة، ورجائى أن يكون قد أدى خدمة كبيرة بهذا العمل الجليل، وأن يكون من حيث الطباعة والتصحيح ما يرضى القارىء الكريم، وقد الحقنا به تعليقا من باب زيادة الفائدة. والله الموفق.

محمد السيد على بحر العلوم

النراع والتخاصم

الحمد لله المعطى ما شاء من شاء لا مانع لعطائه، ولا راد لمراده وقضائه، احمده بما هو اهله من المحامد، واشكره على فضله المتزايد، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معاند، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ونبيه وخليله. اللهم صل عليه وعلى آله وصحابته ومحبيه، وأهل طاعته، وسلم، وشرف، وكرم.

اما بعد:

فإنى كثيرًا ما كنت اتعجب من تطاول بنى امية إلى الخلافة مع بعدهم من جدم (١) رسول الله (ص) وقرب بنى هاشم واقول، كيف حدثتهم انفسهم بذلك واين بنو امية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص) ولعينه من هذا الحديث مع تحكم العداوة بين بنى امية وبنى هاشم فى ايام جاهليتها، ثم شدة عداوة بنى امية لرسول الله (ص) ومبالغتهم فى اذاه، وتماديهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله عز وجل بالهدى ودين الحق إلى ان فتح مكة شرّفها الله تعالى فدخل من دخل منهم فى الإسلام كما هو معروف مشهور، وأردد قول القائل،

كم من بعيد الدار نال مراده وآخر داني الدار وهو بعيد

فلعمرى، لا بعد أبعد مما كان بين بنى أمية وبين هذا الأمر إذ ليس لبنى أمية سبب إلى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب إلا أن يقولوا، «إنا من قريش فيساوون في هذا الاسم قريش الظواهر، لأن قوله (ص): «الأئمة من قريش» واقع على كل قرشى (٢).

⁽١) جدم كل شيء: اصله، والجمع: اجدام، وجدوم.

⁽٢) يقصد بقريش الظواهر مجموعة القباءل التي نزلت حول مكة من بنى الحارث وبنى محارب وبنى تميم وغيرهم. وحديث الأئمة من قريش رواه الطبراني والنسائي والبخاري في التاريخ.

ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة، وما يدعيه كل جيل معلوم، وإلى كل ذلك قد ذهب الناس، فمنهم من ادعاه لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه باجتماع القرابة والسابقة والوصية بزعمهم فإن كان الأمر كذلك فليس لبنى أمية فى شىء من ذلك دعوى عند احد من اهل القبلة.

وإن كانت إنما تنال الخلافة بالوراثة، وتستحق بالقرابة، وتستوجب بحق العصبة، فليس لبني امية في ذلك متعلق عند احد من المسلمين.

وإن كانت لا تنال إلا بالسابقة، فليس لهم فى السابقة قديم مـذكور، ولا يوم مشهور، بل لو كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم مايستحقون به الخلافة لم يكن فيهم ما يمنعهم منها اشد المنع كان اهون وكان الأمر عليهم ايسر.

﴿ فصل في أبي سفيان ومروان ﴾

فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوته النبي (ص) وفي محاربته وفي اجلابه عليه وفي غزوه إياه، وعرفنا إسلامه كيف اسلم، وخلاصه كيف خلص، على أنه إنما أسلم على يد العباس رضى الله عنه، والعباس هو الذي منع الناس من قتله وجاء به رديقا(٢) إلى النبي (ص) وسأل أن يشرفه وأن يكرمه وينوه به، وتلك يد بيضاء، ونعمة غراء، ومقام مشهور، وخبر غير منكور، فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا علياً وسموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب (١) حواسر (٥) وارادوا الكشف عن عورة على بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه، كما يصنع بذراري المشركين إذا دخلت

⁽٣) رديقا اي راكبًا خلفه.

⁽٤) الاقتاب مفردها قتب وهي الرحل الصغير.

⁽٥) حواسر أي مكشوفات وهو هنا يشير إلى نقل نساء آل البيت إلى يزيد بعد منبحة كريالاء.

ديارهم عنوة (٦) وبعث معاوية بن ابى سفيان إلى اليمن بسر بن ارطاة (٢) فقتل ابنى عبيدالله بن العباس، وهما غلامان لم يبلغا الحلم، فقالت أمهما عائشة بنت عبدالله بن عبد المدان بن الديان ترثيهما:

يامن احس بابنى الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف انحى على ودجى طفلًى مرهفة مطرورة وعظيم الإثم يقترف (^)

وقتلوا لصلب على بن ابى طالب تسعة، وصلب عقيل بن ابى طالب تسعة، ولذلك قالت نائحتهم (٩)؛

عين جودى بعبرة وعويل واندبى إن ندبت آل الرسول تسعة منهم لصلب على قد اصيبوا وتسعة لعقيل

هذا وهم يزعمون ان عقيلا اعان معاوية على علي، فإن كانوا كاذبين فما اولاهم بالكذب، وإن كانوا صادقين فما جازوه خيرًا إذ ضربوا عنق مسلم بن عقيل صبرًا وقتلوا معه هانىء بن عروة لأنه آواه ونصره (١٠).

على بن الحسين هو على الأصغر كان مريضًا ولم يشارك في القتال يوم كريلاء واخذه رجال
 يزيد اسيرًا. وهو الملقب بالإمام السجاد زين العابدين الإمام الرابع عند الشيعة.

(٧) بسر بن ارطأة القرشى من رجال معاوية المتعصبين ضد على وآل البيت اختلف فى تاريخ وفاته. انظر طبقات ابن سعد ج ٧. وانظر كتب التراجم.

(٨) تشطى اى تشقق والودج عرق فى العنق وودجى اى عرقى ومطرورة اى محدودة وهذه الأبيات وردت ضمن ابيات اخرى لها فى الكامل لابن الأثير ومروج الذهب للمسعودى والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر والكامل للمبرد. انظر احداث عام ٤٠هـ فى كتب التاريخ.

(٩) هذه الأبيات منسوبة إلى بنت عقيل بن أبى طالب وهى ترثى شهداء كربلاء. انظر العقد الفريد لابن عبدربه جـ٤. وانظر مقاتل الطالبيين للأصفهاني.

(۱۰) مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة قتلا على يد عبيدالله بن زياد بالكوفة وكان الإمام الحسين قد ارسل مسلم إلى الكوفة لطلب البيعة من اهلها. انظر كتب التاريخ احداث عام ٦٠هـ.

قال الشاعر(١١):

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى إلى هانيء في السوق وابن عقيل ترى بطلا قد هشم السيف راسه وآخر يُرمى من طمار قتيل

واكلت هند كيد حمزة، فمنهم آكلة الأكباد، ومنهم كهف النفاق ونقروا بالقضيب بين ثنيتي الحسين، ونبشوا زيدًا وصلبوه والقوا راسه في عرصة الدار تطأه الأقدام وتنقر دماغه الدحاج(١٢) حتى قال القرشي:

> طال ما كان لاتطأه الدجاج أطردوا الديك عن ذؤابة زيد

> > وقال شاعر بني امية(١٣)،

صلينا لكم زيدًا على جدع نخلة ولم نر مهديا على الجدع يصلب

وقتلوا يحيى بن زيد وسموا قاتله ثائر آل مروان وناصر الدين (١٤).

- (١١) اختلف اهل السير في صاحب هذه الأبيات فنسبها الدنيوري في الأخبار الطوال إلى عبدالرحمن بن الزيير الأسدى اما الطبري فنسبها إلى الفرذدق ونسبها الأصفهاني في مقاتل الطالبيين إلى عبدالله بن الزبير الأسدى والطمار المكان المرتفع.
- (١٢) كهف النفاق يقصد به هنا أبو سفيان بن حرب والدمعاوية. وزيد هو أبن على بن الحسين الذي ثار على هشام بن عبدالملك وقتل وصلب.
- (١٣) هو الأعور الطلبي حكيم بن عياش كان من خصوم على وممن يهجون آل البيت وهجاه الكميت شاعر آل البيت. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان: ١١١/٦.
- (١٤) هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين ووالده زيد هو الذي ثار على هشام بن عبدالملك وقتل ثم صلب. وثار يحيى على الوليد بن يزيد وقتل وصلب ويروى أن أبا مسلم الخراساني انتقم من قتلته بعد ذلك. انظر مقاتل الطالبيين للأصفهاني. وانظر الكامل لابن الأثير جـ ٥٨/٥.

وضربوا على بن عبدالله بن العباس بالسياط مرتين على أن تزوج بنت عمه الحعفرية التي كانت عند عبدالملك بن مروان.

وعلى أن نحلوه (١٥) قتل سليط وسموا أبا هاشم بن محمد بن على (١٦) وضرب سليمان بن حبيب بن المهلب أبا جعفر المنصور بالسياط قبل الخلافة، وقتل مروان الحمار الإمام إبراهيم بن محمد بن على أدخل راسه في جراب نورة حتى مات (١٧). وقتلوا يوم الحرة (١٨) عون بن عبدالله بن جعفر، وقتلوا يوم الطف (١٩) مع الحسين أبا بكر ابن عبدالله بن جعفر، وقتلوا يوم الحرة الفضل بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، والعباس بن عتبة بن أبى لهب وعبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب. عبدالمطلب. ومع ذلك كله فإن عبدالملك بن مروان أبو الخلفاء من بني مروان أعرق الناس في الكفر لأن جده لأبيه الحكم بن أبي العاص لعين رسول الله (ص) وطريده وجده لأمه معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي طرده رسول الله (ص)، ثم قتله على وعمار صبراً (٢٠).

⁽١٥) نحلوه اى نسبوا إليه قتل سليط بن عبدالله بن عباس وإليه ينسب أبو مسلم الخراساني.

⁽١٦) سمه سليمان بن عبدالملك بسبب خوفه منه على الخلافة.

⁽۱۷) جراب نورة اى جراب مملوء بالجير.

⁽١٨) يوم الحرة يوم عصت المدينة يزيد بن معاوية عام ٦٣هـ بعد مذبحة كريلاء واستباح فيها جنود يزيد نساء المدينة وخربوها. انظر تفاصيل هذه الوقعة الشنعاء والوصمة السوداء في كتب التاريخ احداث عام ٦٣هـ.

⁽١٩) يوم الطف هو يوم كريلاء العاشر من محرم عام ٢١هـ.

⁽۲۰) عبدالملك بن مروان هو الخليفة الرابع في دولة بني امية واولاده هم الذين حكموا من بعده. انظر سيرته في تاريخ الخلفاء للسيوطي وكتب التاريخ، ومروان والده تولى الحكم بعد يزيد وتنازل معاوية الثاني. اما الحكم بن العاص ومعاوية بن المغيرة بن ابي العاص كلاهما حلت عليه اللعنة والطرد من قبل الرسول (ص) بعد فتح مكة وعاد الحكم إلى الظهور على الساحة في عهد عثمان بن عفان وكان له دوره في الفتنة التي اودت بحياته كما كان له دورا في وقعة الجمل من قبل وهو الذي رمي طلحة بن عبيدالله بسهم فقتله كي يشعل نار الفتنة بين المسلمين. وسياتي ذكر الحكم ومعاوية.

ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان وأقدمهم فيه، هذا وبنوامية قد هدموا الكعبة (٢١)، وجعلوا الرسول دون الخليفة (٢٢)، وختموا في أعناق الصحابة (٢٦)، وغيروا أوقات الصلاة (٢٤)، ونقشوا أكف المسلمين، ومنهم من أكل وشرب على منبر رسول الله (ص) ونهبت الحرم ووطئت المسلمات في دار الإسلام بالبقيع في أيامه (٢٥).

وكان ابو جعفر المنصور إذا ذكر ملوك بنى امية قال، كان عبدالملك جبارًا لا يبالى ماصنع، وكان الوليد محنونًا، وكان سليمان همة بطنه وفرجه، وكان عمر أعور بين عميان، فإذا قيل عدل قال، إن من عدله أن لا يقبلها ممن لم يكن لها أهلا، ويتولاها بغير استحقاق، وكان رجلهم هشام، وقد صدق أبو جعفر، وكان يقال لهشام؛ الأحول السراق لأنه ما زال يدخل عطاء الجند شهرًا في شهر حتى أخذ لنفسه مقدار أرزاق سنة فلذلك قالوا، الأحول السراق، وقال خاله إبراهيم بن هشام المخزومي ما رأيت من هشام خطأ قط إلا مرتين فإن الحادى حدا به مرة فقال؛

إن عليك ايها البختى اكرم من تمشى به المطى

فقال صدق قولك.

(٢١) يشير المقريزى هنا إلى ضرب الأمويين الكعبة بالمنجنيق المرة الأولى عام ٦٤هـ. والمرة الثانية عام ٣٢هـ على يد الحجاج بن يوسف وذلك اثناء حركة ابن الزبير.

⁽۲۲) المقصود أن معاوية والمروانيين من بعده سنوا سنة تقديس الحكام وربطهم بالشرع عن طريق طبقة المفقهاء التي اخترعوها وربط طاعتهم بطاعة الله وعدم رد قولهم أو مراجعتهم ثم تطاولوا بعد ذلك على الرسول (ص) وبني هاشم. وستاتي الإشارة لذلك.

⁽٢٣) كان ذلك في عام ٧٤هـ بعد القضاء على ابن الزبير حين قام الحجاج بوضع اختام الرصاص في اعناق الصحابة. انظر كتب التاريخ.

⁽٢٤) قام معاوية والمروانيين من بعده بتغيير الكثير من السنن التي سنها الرسول (ص) فيما يتعلق بالصلاة وغيرها ويروى: اول من يبدل سنتي رجل من بني امية. رواه ابي يعلى وابن ابي شيبة.

⁽٢٥) الإشارة هنا إلى ماحدث يوم الحرة.

وقال مرة؛ والله لأشكون سليمان بن عبدالملك إلى أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان.

وهذا ضعف شديد وجهل عظيم.

وكان هشام يقول «والله لأستحى من الله أن أعطى رجلا أكثر من أربعة آلاف درهم».

وقد مشام ابنه سعيدا على حمص فرمى بالنساء فكتب ابو الجعد الطائى إلى هشام مع خصى وأعطاه فرسا على أن يبلغ الكتاب وفيه:

ابلغ لديك امير المؤمنين فقد امددتنا بأمير ليس عنينا طورًا يخالف عمرًا في حليلته وعند راحة يبغى الأجر والدينا(٢٦)

فعزله وقال؛ يا ابن الخبيثة تزنى وانت ابن امير المؤمنين، اعجزت أن تفجر فجور قريش قبل هذا؟ وقال؛ هذا لا يلى لى عملاً أبدًا.

وحسبك من عبدالملك بن مروان قيامه على منبر الخلافة وهو يقول: «ما انا بالخليفة المستضعف، ولا بالخليفة المداهن، ولا بالخليفة المافون. وهؤلاء هم سلفه وائمته، وبشفعتهم قام ذلك المقام وبتاسيسهم وتقدمهم نال تلك الرياسة، ولولا العادة المتقدمة والأجناد المجندة والصنائع القائمة لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام، فالمستضعف عنده عثمان بن عفان، والمداهن عنده معاوية، والمافون عنده يزيد بن معاوية، والمضعيف لا يكون خليفة لأنه الذي ينال القوى منه عند انتشار الأمر عليه، والمداهن لا يكون إمامًا، ولا يوثق منه بعقد، ولا بوفاء عهد، ولا بضمير صحيح ولا بغيب كريم، والمأفون لا يكون إمامًا، وهذا الكلام نقض لسلطانه، وعداوة لأهله وإفساد لقلوب

⁽٢٦) البيتان من العقد الفريد لابن عبدربه ج ٤ / ٤٤٨.

شيعته، وقرة عين عدوه، وعجز في رايه، فإنه لم يقدر على إظهار قوته، إلا بأن يظهر عجز ائمته. وقد كانت المنافرة لا تزال بين بني هاشم وبني عبدشمس بحيث أنه قال: إنَّ هاشمًا وعبدشمس ولدا توامين فخرج عبدشمس في الولادة قبل هاشم وقد لصقت اصبع احدهما بجبهة الآخر فلما نزعت دمي المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك. ويقال: إن عبدشمس وهاشمًا كانا يوم ولدا في بطن واحد كانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فاخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف، فقال بعض العرب، ألا فرق ذلك بالدرهم فإنه لا يزال السيف بينهم وفي أولادهم إلى الأبد.

وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قصى وبين ابن اخيه أمية بن عبدشمس بن عبد مناف وسببها، أن هاشما كانت إليه الرفادة (٢٧) التى سنها جده قصى ابن كلاب بن مرة مع السقاية وذلك أن اخاه عبدشمس كان يسافر وقلما يقيم بمكة وكان رجلا مقلا وله ولد كثير فاصطلحت قريش على أن ولى هاشم السقاية والرفادة، وكان هاشم رجلا موسرا وكان إذا حضر موسم الحج قام فى قريش فقال، «يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنكم يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته، وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به حفظ منكم أفضل ما حفظه جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح وقد أرحفوا وتفلوا وقملوا وأرملوا فاقروهم وأغنوهم وأعينوهم وأعينوه وأعينو وأعي

⁽٢٧) الرفادة من الرفد أي الإعانة.

⁽٢٨) المقصود أن الوافدين على بيت الله الحرام قد أخذ منهم السفر مأخذه فهزلوا من الجوع واتسخوا واحتاجوا.

فكانت قريش ترافد على ذلك حتى ان كان اهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم فيضمه هاشم إلى ما اخرج من ماله وما جمع مما يأتيه به الناس، فإن عجز كمله، وكان هاشم يُخرج في كل سنة مالا كثيرًا وكان قوم من قريش يترافدون، فكانوا أهل يسار فكان كل إنسان منهم ربما أرسل بمائة مثقال هرقلية (٢٩).

وكان هاشم يأمر بحياض من آدم فتجعل في موضع زمزم من قبل أن تحفر زمزم، ثم يستقى فيها من الآبار التي بمكة فيشرب الحاج. وكان يطعمهم أول مايطعمهم قبل التروية بيوم بمكة ويطعمهم بمنى وبعرفة وبجمع، فكان يثرد لهم الخبز واللحم، والخبز والسمن، والسمن، والسمن والسويق والتمر، ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس لبلادهم.

وكان هاشم يسمى عمرًا وإنماقيل له «هاشم» لهشمه الثريد وهو واول من اطعم الثريد بمكة وكان أمية بن عبدشمس ذا مال فتكلف ان يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش فعجز عن ذلك فشمت به ناس من قريش وعابوه، فغضب ونافر هاشمًا على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة وعلى جلاء عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى جد عمرو بن الحمق الصحابى، وكان منزله عسفان وخرج مع أمية أبو همهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك الفهرى فقال الكاهن، والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، اول منه وآخر، وابو همهمة بذلك خابر».

فأخذ هاشم الإبل فنحرها واطعم لحمها من حضر، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكان هذا أول عداوة وقعت في بني هاشم وبني أمية، ولم يكن أمية في

⁽٢٩) هي العملة البيزنطية السائدة بين العرب آنذاك.

نفسه هناك وإنما رفعه ابوه وبنوه وكان مضعوفا وكان صاحب عهار يدل على ذلك قول تفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أمية وعبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال:

ابوك معاهر وابوه عضٌّ وذاد الفيل عن بلد حرام

وذلك أنَّ أمية كان يعرض لأمراة من بنى زهرة فضريه رجل منهم ضرية بالسيف واراد بنو أمية ومن تابعهم إخراج زهرة من مكة، فقام دونهم قيس بن عدى السهمى وكانوا أخواله وكان منيع الجانب شديد العارضة حمى الأنف أبي النفس، فقام دونهم وقال وصاح «أصبح ليل» فذهبت مثلا ونادى «ألا إنَّ الضاعن مقيم (٣٠)».

ففي هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة:

مهلاً أمى فإن البغى مهلكة لا يكسبنك ثوبًا شره ذكر تبدو كواكبه والشمس طالعة يصب في الكأس منه الصاب والمقر (٣١)

وصنع أمية فى الجاهلية شيئا لم يصنعه احد من العرب زوج ابنه أبا عمرو بن أمية أمية فى حياة منه، والمقتيون فى الإسلام هم الذين أولدوانساء أبائهم واستنكحوهن من بعد موتهم، وأما أن يتزوجها فى حياته ويبنى عليها وهو براء فإن هذا لم يكن قط.

⁽٣٠) الظاعن الراحل.

⁽٣١) وهب بن عبد مناف هو جد الرسول (ص) لأمه. والمقر الشيء المر.

وأمية قد جاوز هذا المعنى ولم يرض بهذا المقدار حتى نزل عنها له وزوجها منه وابو معيط بن ابى عمرو بن أمية قد زاد فى المقت درجتين ثم نافر حرب بن أمية عبدالمطلب بن هاشم من أجل يهودى كان فى جوار عبدالمطلب فما زال أمية يغرى به حتى قتل واخذ ماله فى خبر طويل.

وتمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيد بنى هاشم ابو القاسم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم رسول الله (ص) بمكة يدعو قريشا إلى توحيد الله تعالى جلت قدرته وترك ما كانت تعبد من دون الله فانتدب لعداوته (ص) جماعة بنى امية منهم ابو أحيحة سعيد بن العاصى بن أمية حتى هلك على كفره بالله فى اول سنة من الهجرة او فى سنة اثنين وهو يحاد الله ورسوله، ومنهم عقبة بن ابى معيط ابان بن عمرو بن أمية، وكان اشد الناس عداوة لرسول الله (ص) وإدًا إلى ان قاتل يوم بدر فأتى به إلى رسول الله (ص) وقد أسر فأمر بضرب عنقه فجعل يقول؛

يا ويلتى علام اقتل يا معشر قريش أاقتل من بين هؤلاءا

فقال رسول الله (ص)؛ لعدواتك لله ولرسوله.

فقال: يامحمد منك افضل فاجعلنى كرجل من هؤلاء من قومى وقومك، يامحمد من للصبية؟

قال؛ النار وضرب عنقه.

وقيل؛ إن رسول الله (ص) امر به فصلب، فكان اول مصلوب في الإسلام.

وقال عطاء عن الشعبى: إنَّ رسول الله (ص) قال لعقبة بن ابى معيط يوم بدر: والله لأقتلنك.

فقيل اتقتله من بين قريش؟

قال: نعم إنه وطىء على عنقى وانا ساجد، فلما رفعت حتى طننت أن عينى قد سقطتا، وجاء وأنا ساجد بسلى شاة فألقاها على رأسى، فأنا قاتله (٣٢).

ومنهم الحكم بن ابى العاصى بن امية وكان عارًا فى الإسلام وكان مؤذيًا لرسول الله (ص) بمكة يشتمه ويسمعه ما يكره، فلما كان فتح مكة اظهر الإسلام خوفًا من القتل. فلم يحسن إسلامه وكان مغموصًا عليه فى دينه (٣٣).

ثم قدم المدينة فنزل على عثمان بن عفان بن ابى العاصى بن أمية، وكان يطالع الأعراب والكفار بأخبار رسول الله (ص)، وبينا رسول الله (ص) يمشى ذات يوم مشى الحكم خلفه فجعل يختلج بأنفه وفمه كأنّه يحاكى رسول الله (ص)، يتفكك ويتمايل فالتفت رسول الله (ص) فرآه، فقال له، كن كذلك، فما زال بقية عمره على ذلك.

واطلع يومًا على رسول الله (ص) وهو في حجرة بعض نسائه فخرج إليه بعنزة فقال: من عذيري من هذا الوزغة لو ادركته لفقات عينه (٣٤).

⁽۳۲) انظر سیرة این هشام جه ۱.

⁽٣٣) مغموصاً أي مطعونا محقرًا.

⁽٣٤) انظر انساب الأشراف للبلاذرى جـ ١ /١٢٤. وانظر مسلم كتاب الآداب والبخارى كتاب الاستئذان والديات.

وقال زهير بن محمد عن صالح بن ابى صالح قال: حدثنى نافع بن جبير بن مطعم عن ابيه قال: كنا مع النبى (ص) فمر الحكم بن ابى العاصى فقال النبى (ص)؛ ويل لأمتى مما في صلب هذا (٣٥).

ثم إنَّ النبى (ص) لعنه وما ولد وغريه عن المدينة فلم يزل خارجًا عنها بقية حياة رسول الله (ص) وخلافة أبى بكر وعمر فلما استخلف عثمان ردَّه إلى المدينة وولده فكان ذلك مما انكره الناس على عثمان، وكان اعظم الناس شؤمًا على عثمان فإنَّهم جعلوا إدخاله المدينة بعد طرد النبى إيّاه وبعد امتناع أبى بكر وعمر من ذلك أكبر الحجج على عثمان ومات في خلافته فضرب على قبره فسطاطا(٣٦).

وقد قالت عائشة لمروان بن الحكم، اشهد أنَّ رسول الله (ص) لعن أباك وأنت في صلبه (٣٧).

(٣٥) رواه الهيثمى. وانظر تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبى سفيان لابن حجر الهيتمى ملحق بكتابه الصواعق المحرقة.

- (٣٦) نقل عن بعض فقهاء التبرير ان الحكم ذهب باختياره، ولم يطرده الرسول إلا ان كل الروايات تؤكد وقوع الطرد. انظر منهاج السنة لابن تيمية جـ ١٩٦/٣ و ٢٣٥. وانظر العواصم من القواصم لأبى بكر بن العربى. وقال ابن حزم، ونفى رسول الله (ص) لم يكن حدا واجبًا ولا شريعة على التأييد. وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفى. والتوبة مبسوطة. فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من احد من اهل الإسلام وصارت الأرض كلها مباحة. انظر الفصل في الملل والنحل جـ ١٥٤/٤. وتامل قوله بلا خلاف من احد من اهل الإسلام فكان المخالفين في هذا ليسوا من اهل الإسلام.
- (٣٧) روايات لعن الحكم واولاده وردت في عدة مصادر ففي رواية البزار، لقد لعن إلله الحكم وما ولد على لسان نبيه. ويروى عن الحسين قوله في مروان، فو الله لقد لعنك الله على لسان نبيه (ص) وانت في صلب ابيك. وعن ابن الزبير قال، ورب الكعبة لقد لعن رسول الله (ص) فلانا الحكم وما ولد من صلبه. انظر تطهير الجنان واللسان. وقال ابن الأثير، رويت أخبار كثيرة في لعنه ولعن من في صلبه رواها الحفاظ وفي اسانيدها كلام. الكامل، ح ١٥/٤.

وقال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت لمروان بن الحكم،

إنّ اللعين اباك فارم عظامه إنّ ترم ترم مخلجًا مجنونا يضحى خميص البطن من عمل التقى ويُظلُّ من عمل الخبيث بطينا

وكان الحكم هذا يقال له، طريد رسول الله ولعينه، وهو والد مروان بن الحكم الذى صارت الخلافة إليه بالغلبة وتوارثها بنوه من بعده، وكان رجلاً لا فقه له، ولا يعرف بالزهد، ولا برواية الآثار، ولا بصحبة، ولا ببعد همّة، وإدّما ولى رستاقا من رساتيق داربجرد لأبن عامر، ثم ولى البحرين لمعاوية، وقد كان جمع اصحابه ومن تابعه ليبايع الني الزبير حتى رده عبيدالله بن رياد وقال يوم مرج راهط والرؤوس تنبذ عن كواهلها.

وماذا لهم غير حين النفو س أي غلامي قريش غلب

وهذا كلام من لا يستحق أن يلى ربعًا من الأرباع ولا خمسًا من الأخماس.

فكان مروان أول من شق عصا للإسلام بغير تأويل وقال لخالد بن يزيد بن معاوية وام خالد يومئذ عنده: اسكت يا ابن الرَّطبة فكان حتفه في هذه الكلمة (٣٨).

وكتب عبدالملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية، من عبدالملك امير المؤمنين إلى محمد بن الحنفية، فلما نظر إلى عنوان الصحيفة استرجع وقال: الطلقاء ولعناء رسول الله (ص) على سائر الناس والذي نفسى بيده إنها لأمور لا يقرُ قرارها.

⁽٣٨) لقى مروان حتفه على يد ام خالد خنقا بالوساده وقصته مشهورة فى كتب التاريخ. انظر احداث عام ٦٥هـ.

ومنهم، عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن امية احد من عادى الله ورسوله إلى ان قتل ببدر كافرًا قتله حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه، وعتبة هذا هو ابو هند بنت عتبة التى لاكت كبد حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه، ثم لفظتها واتخذت مما قطعت منه مسكين ومعضدين وخدمتين واعطت وحشيًا قاتل حمزة، حليًا كان عليها من ورق وجزع وخواتيم ورق كانت فى اصابع رجليها كل ذلك شماتة بحمزة رضى الله عنه من اجل انه قتل اباها عتبة رأس الكفر فى يوم بدر وقيل بل قتله عبيده بن الحارث بن عبدالمطلب وانشدت هند؛

عينى جودا بدمع سرب على خير خندف لم ينقلب تداعى به رهطه قصرة بنو هاشم وبنو المطلب

وقيل: إنَّ عليًا لما فرغ من الوليد بن عتبة مال مع عبيدة على عتبة فقتلاه جميعًا، وهند هذه امر رسول الله (ص) يوم فتح مكة بقتلها فأسلمت، ولما حضرت مع النساء لتبايع بيعة الإسلام كان مما قال لهن رسول الله (ص) ولا تقتلن اولادكن، فقالت ربيناهم يا محمد صغارًا وقتلتهم كبارًا. وهي ام معاوية بن ابي سفيان الذي قاتل على بن طالب رضى الله عنه واخذ الخلافة من الحسن بن على رضى الله عنه واستلحق زياد بن سمية من زنية واستخلف على الأمَّة ابنة يزيد القرود ويزيد الخمور (٢٩).

⁽٣٩) يزيد القرود ويزيد الخمور يقصد بهما ولع يزيد بالقرود وكان له قرد يلهو به مع سكره الدائم وعشقه للخمور. انظر سيرة يزيد في كتب التاريخ. وانظر حوادث فتح مكة في سيرة ابن هشام. وسيرة معاوية وتآمره على الحسن بدس السم له مشهورة بعد أن سلم له بالحكم شريطة أن يعود إليه بعد وفاته لكن معاوية اخترع ولاية العهد وأول ملكية في الإسلام وجعل يزيد الفاسق يلي أمر المسلمين من بعده أن تخلص من الحسن. انظر الاصابة في تقيير الصحابة لابن حجر والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر وكتب التاريخ والتراجم.

ومنهم: الوليد بن عتبة بن ربيعة وقتل ببدر كافرًا قتله على رضى الله عنه، والوليد هذا هو خال معاوية.

ومنهم، شيبة بن ربيعة بن عبدشمس عم هند أم معاوية، وكان يجتمع مع قريش فيما تكيد رسول الله (ص) من الأذى وقتله الله يوم بدر فيمن قتل من أعدائه.

ومنهم؛ ابو سفيان صخر بن حرب بن امية قائد الأحزاب الذي قاتل رسول الله (ص) يوم احد وقتل من خيار اصحابه سبعين ما بين مهاجري وانصاري، منهم اسد الله حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم، وقاتل رسول الله (ص) في يوم الخندق ايضًا وكتب إليه،

«باسمك اللهم احلف باللات والعزى وساف ونائلة وهبل لقد سرت إليك اريد استئصالكم فأراك قد اعتصمت بالخندق فكرهت لقاءنا ولك منى كيوم احد«.

وبعث بالكتاب مع ابى اسامة الجشمى فقراه على النبى (ص) ابى بن كعب رضى الله عنه فكتب إليه رسول الله (ص): «قد اتانى كتابك وقديمًا غرك يا احمق بنى غالب وسفيههم بالله الغرور، وسيحول الله بينك وبين ماتريد ويجعل لنا العاقبة، ولياتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى وساف ونائلة وهبل يا سفيه بنى غالب.

ولم يزل يحاد الله ورسوله حتى سار رسول الله (ص) لفتح مكة فاتى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه رسول الله (ص) وقد اردفه وذلك الله كان صديقه ونديمه فى الجاهلية، فلما دخل به على رسول الله (ص) ساله ان يؤمنه فلما رآه رسول الله (ص) قال له، ويلك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا إله إلا الله والم ابه وامى

ما اوصلك واجملك واكرمك والله لقد ظننت آنه لوكان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً.

فقال، يا ابا سفيان الم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟ فقال، بأبى أنت وأمى ما أوصلك وأجملك وأكرمك؛ أما هذه ففي النفس منها شيء.

فقال له العباس: ويلك إشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك، فشهد وأسلم، فهذا حديث إسلامه كما ترى.

واختلف فى حس إسلامه فقيل، إنه شهد حنينا مع رسول الله (ص)، وكانت الأزلام معه يستقسم بها، وكان كهذا للمنافقين وإنّه كان فى الجاهلية زنديقا.

وفى خبر عبدالله بن الزبير أنّه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت قال ابو سفيان: إيه بنى الأصفر فإذا كشفهم المسلمون قال ابو سفيان:

وبنو الأصفر الملوك ملوك الر وم لم يسبق منهم مذكور (٤٠)

فحدث به ابن الزبير اباه فلما فتح الله على المسلمين، فقال الزبير، قاتله الله يابي إلا نفاقًا أو لسنا خيرًا له من بني الأصفر.

⁽٤٠) كان ابو سفيان من المؤلفة قلوبهم هو وولده معاوية واستمرا على ذلك حتى جاء عمر فالغي

نصيب المؤلفة وعطل الحكم الشرعى فارتفع مقام أبو سفيان وولده. والحق أن نه هو وولده لا تؤكد إسلامه. انظر سيرة ابن هشام وكتب التاريخ.

وذكر عبد الرازق عن ابن المبارك عن مالك بن مغول - بالغين - عن ابن أبجر قال: لما بويع لأبى بكر جاء أبو سفيان إلى على رضى الله عنه فقال:

اغلبك على هذا الأمر اقل بيت في قريش، أما والله لأملائها خيلاً ورجالاً إن شئت؟

فقال على: ما زلت عدوًا للإسلام واهله فما ضرَّ ذلك الإسلام واهله شيئًا (١٤).

وذكر المدائنى عن ابى زكريا العجلانى عن ابى حازم عن ابى هريرة قال، حج ابو بكر ومعه ابو سفيان بن حرب فكلم ابو بكر ابا سفيان فرفع صوته، فقال ابو قحافة، إخ فض صوتك يا ابا بكر عن ابن حرب، فقال ابو بكر، يا ابا قحافة إنَّ الله بنى بالإسلام بيوتا كانت غير مبنية وهدم به بيوتا كانت فى الجاهلية مبنية، وبيت ابى سفيان مما هدم.

فليت شعري بعد هذا بأي وجه يبني بيت أبي سفيان بعدما هدمه الله ١٩٠٤.

وروى عن الحسن؛ أنَّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال؛

«صارت إليك بعد تيم وعدى فأدرها كالكرة واجعل اوتادها بنى اميّة فإنّما هو الملك ولا أدرى ما جنة ولا نار.

فصاح به عثمان قم عنى فعل الله بك وفعل.

⁽٤١) انظر حوادث سقيفة بنى ساعدة بعد وفاة النبى في كتب التاريخ. وانظر السيف والسياسة للمعلق.

وابو سفيان هذا هو ابو معاوية ولم يزل بعد إسلامه هو وابنه معاوية من المولفة (٢٤٠).

ومنهم، معاوية بن المغيرة بن ابى العاص بن امية، وهو الذى جدع انف حمزة ومثل به فيمن مثل، فلما انهزم يوم احد دخل على عثمان بن عفان ليجيزه، وكان رسول الله (ص) قد امر بطلبه فأخرج من دار عثمان وأتى به رسول الله (ص) فوهبه لعثمان، وأقسم لئن وجده بعد ثلاث بالمدينة وما حولها ليقتلن فجهزه عثمان وسار في اليوم الرابع.

فقال رسول الله (ص): إنَّ معاوية اصبح قريبًا لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه، فأصابوه فأخذه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فقتلاه، وقيل: بل قتله على رضى الله عنه (٤٣).

ومعاوية هذا هو ابو عائشة ام عبدالملك بن مروان، فعبد الملك بن مروان اعرق الناس في الكفر، لأنَّ احد ابويه الحكم بن ابي العاصي لعين رسول الله (ص) وطريده، والآخر معاوية بن المغيرة.

ومنهم، حمالة الحطب واسمها ام جميل بنت حرب بن امية كانت تحمل اغصان العضاة والشوك فتطرحها على طريق رسول الله (ص).

قاله الضحاك عن ابن عباس، فقال مجاهد، حمالة النميمة تحطب على ظهرها وإياها عنى الله تعالى بقوله في سورة المسد، ﴿تَبُّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبُّ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مُسَدِ

⁽٤٢) اي حتى جاء عمر.

⁽٤٣) انظر احداث غزوة احد في سيرة ابن هشام وكتب التاريخ.

قيل، عنى أنَّ فى جيدها سلسلة من نار، أى من سلاسل جهنم، والجيد، العنق، ولما نزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبُ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهُ اللهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ قَلَهُ وَاللهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مُسد ۞ .قالت امراة ابى لهب، قد هجانى محمد والله لأهجونه، فقالت، مذممًا قلينا. ودينه ابينا، وامره عصينا.

وأخذت فهرا لتضريه به فأعشى الله عينها عنه وردَّها بغيظها، ولم تزل على كفرها حتى هلكت (٤٤).

وما احد من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم إلا وقد بذل جهده في عداوة رسول الله (ص) وبالغ في اذي من اتبعه وآمن به، ونالوا منهم من الشتم وانواع العذاب حتى فروا منهم مهاجرين إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة، واغلقت ابوابهم بمكة فباع ابو سفيان ابن حرب بعض دورهم وقضى من ثمنها دينا عليه.

وهموا بقتل رسول الله (ص) غير مرَّة وتناظروا في امره ليخرجوه من مكة او يقيدوه ويحبسوه حتى يتفرَّق دمه في القبائل.

وبالغ كل أحد منهم فى ذلك بنفسه وما له وأهله وعشريته، ونصب لرسول الله (ص) الحبائل بكل طريق سرًا وجهرًا ليقتله، فلما أذن الله له فى الهجرة وخرج من مكة ومعه صاحبه أبو بكر إلى غار ثور، جعلوا لمن جاء بهما أو قتلهما ديتهما ويقال، جعلوا له مائة بعير، ونادوا بذلك فى أسفل مكة وأعلاها.

كل ذلك حسدًا منهم لرسول الله (ص) وبغيًا ويأبى الله إلا تأييد رسول الله (ص)

⁽٤٤) انظر قصة حمالة الحطب في سيرة ابن هشام وكتب التفسير. سورة اللهب.

وإعلاء كلمته حتى صدق الله وعده، ونصر عبده، واعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وظهر أمر الله وهم كارهون - كما ذكرت ذلك ذكرا شافيًا في كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع (ص) ولله در من قال:

عبد شمس قد اضرمت لبنى ها شم حريًا يشيب منها الوليد فابن حرب للمصطفى وابن هند لعلى وللحسين يزيد

وما الأمر إلا كما قال الأخطل؛

إنَّ العداوة تلقاها وإن قدمت كالعرِّ يكمن احياثا وينتشر (٤٥)

﴿ فصل في ذوي القربي ﴾

واقول: هذا رسول الله (ص) قد أبعد بنى أمية عنه وأخرجهم من ذوى قرياه - كما خرجه أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى في كتاب فرض الخمس فقال:

«حدّثنا عبدالله بن يوسف حدّثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيّب عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله (ص) فقلنا: يارسول الله أعطيت بنى المطّلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال رسول الله (ص): إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد«.

وقال الليث: حدَّثني يونس وزاد قال جبير؛ ولم يقسم النبي (ص) لبني عبد شمس ولا لبني نوفل.

⁽٤٥) العر - بفتح العين وضمها: الجرب، والبيت ورد في الكامل وللمبرد جـ ٢ /٣١٠. وانظر ديوان الأخطل.

قال: ابن إسحاق وعبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم عاتكة بنت مرّة وكان نوفل اخاهم لأبيهم.

وذكره البخارى فى مناقب قريش ايضًا وقال فى غزوة خيبر: حدَّثنا يحيى بن بكير حدَّثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيَّب انَّ جبير بن مطعم اخبره قال: أتيت أنا وعثمان إلى النبى (ص) فقلنا: أعطيت بنى المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن وهو بمنزلة واحدة منك، فقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، قال جبير ولم يقسم النبى (ص) لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئًا.

وقد خرج ابو داود هذا الحديث من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال: حدثنى جبير بن مطعم ان رسول الله (ص) لم يقسم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل من المخمس، كما قسم لبنى هاشم ولبنى المطلب.

قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله (ص) غير أنّه لم يكن يعطى قربى رسول الله (ص) كما كان يعطيهم رسول الله (ص)، وكان عمر يعطيهم ومن كان بعده منه (٢٤).

واعلم أنَّ قوله عن أبى بكر: إنَّه لم يكن يعطى ذوى القربى كما كان النبى (ص) يعطيهم إنَّما هو مما كان (ص) يعود به عليهم من سهمهم، وكانت حاجة المسلمين أيام أبى بكر أشد لا أنَّه منعهم الحق المفروض لهم الذى سماه الله تعالى ورسوله (ص) لهم فقد أعاده الله من ذلك (٢٤).

⁽٤٦) الثابت أن حكم الخمس الذي كان يقسم لذوى القربي وهم بنى هاشم وبنى عبد المطلب قد عطل ولا زال معطلا. والطائفة الوحيدة التي تعمل به وتطبقه هي الشيعة،

⁽٤٧) انظر ملحق الكتاب وفيه تعليق على هذا الكلام.

وخرج ابو داود من طريق محمد بن إسحاق عن الزهرى عن سعيدبن المسيّب قال: اخبرنى جبيرين مطعم قال: فلما كان يوم خيبر وضع رسول الله (ص) سهم ذى القريى في بنى هاشم وبنى المطلب، وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا رسول الله (ص) فقلنا: يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال إخواننا بنى المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة؟

فقال رسول الله (ص): إنّا وبنو المطلب لا نفترق فى جاهلية ولا إسلام وإنّما نحن وهم شيء واحد وشبك بين أصابعه.

وخرّجه إسحاق بن راهویه عن الزهری عن ابن المسیّب عن جبیر مثل ما تقدّم، وفیه قال، فقسم رسول الله (ص) سهم خمس الخمس من القمح والتمر والنوی.

وقال الحسن بن صالح عن السدى في ذي القربي، هم بنو عبد المطلب.

وخرج النسائى من حديث سفيان عن قيس بن مسلم قال: سألت الحسن بن محمد عن قوله تعالى: « واعلموا اتما غنمتم من شيء فإنَّ لله خمسه « قال: هذا مفتاح كلام ولله الدنيا والأخرة.

قال: اختلفوا في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله (ص)؛ سهم الرسول، وسهم ذي القربي ذي القربي، فقال قائل: سهم الرسول للخليفة من بعده، وقال قائل: سهم ذي القربي لقرابة الرسول، وقال قائل سهم ذي القربي لقرابة الخليفة، فاجتمع رايهم على ان يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله، فكان ذلك في خلافة ابي بكر وعمر (٤٨).

⁽٤٨) يشير المقريزى هنا إلى تعطيل حكم الخمس وصرفه في غير مصارفه الشرعية بتوجيه من الحكام.

وقد روى عن بعض طرق ابن إسحاق عن الزهرى عن ابن المسيّب أنَّ عثمان وجبير بن مطعم كلَّما رسول الله (ص) في سهم ذي القربي وقالا، قسمته بين بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف ونحن وبنو المطلب إليكم في النسب سواء.

فقال رسول الله (ص): «إنّا وهم لما نزل في الجاهلية شيئا واحدا وكانوا معنا في الشعب كذا« وشبك اصابعه.

وكان من حديث الشعب على ما ذكر محمدبن إسحاق وموسى بن عقبة فذكر ابن إسحاق ان النبى (ص) لما مضى على الذى بعث به وقامت بنو هاشم وبنو عبد المطلب دونه، وابوا ان يسلموه وهم من خلافة على مثل ما قومهم عليه إلا انهم انفوا ان يستنالوا ويسلموا اخاهم لمن فارقه من قومه، فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش الا سبيل إلى محمد (ص)، معهم اجمعوا على ان يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب الا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة.

ثم عدوا على من اسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا.

وقال ابن عقبة، وإجتمعت قريش في مكرها ان يقتلوا رسول الله (ص) علانية فلما راى ابو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وامرهم ان يدخلوا رسول الله (ص) شعبهم ويمنعوه ممن اراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم ومن فعله إيمانا ويقينا.

فلما عرفت قريش ان القوم منعوا رسول الله (ص) اجتمع المشركون من قريش واجمع رايهم؛ الا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله (ص) للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق؛ ان لا يقبلوا من بني هاشم ابدا صلحا، ولا تاخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا تركوا طعامًا يقدم مكة ولا بيعًا إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله (ص)(٤٩).

وذكر ابن إسحاق القصة في دخولهم الشعب، وما بلغوا من الجهد الشديد حتى كان يسمع اصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع، حتى كره عامة قريش ما اصابهم واظهروا كراهتهم لصحيفتهم الظالمة.

قال موسى بن عقبة، فلما كان راس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن بنى قصى، ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم، وراوا انهم قد قطعوا الرِّحم واستخفوا بالحق، واجمع امرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله عرَّ وجلَّ على صحيفتهم التى المكر فيها برسول الله (ص) الأرضة فلحست كلّ ما كان فيها من عهد وميثاق، فلم تترك اسمًا لله عر وجل فيها إلا لحسته، وبقى ما كان فيها من شرك او ظلم او قطيعة رحم.

واطلع الله عز وجل رسوله (ص) على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله (ص) لأبى طالب فقال ابو طالب، لا والثواقب ما كذبنى، وانطلق يمشى بعصابة من

⁽٤٩) انظر سيرة ابن هشام وهي شرح لسيرة ابن إسحاق.

بنى عبد المطلب حتى اتى المسجد وهو حافل من قريش فلما راوهم عامدين لجماعتهم انكروا ذلك وظنوا انهم خرجوا من البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله (ص) فتكلم ابو طالب فقال:

قد حدثت امور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فلعله ان يكون بيننا صلح، وإنما قال ذلك خشية ان ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن الرسول مدفوع إليهم فوضعوها بينهم وقالوا قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فأنما قطعه بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرا لهلكه قومكم وعشيرتكم وفسادهم.

فقال ابو طالب إنما اتبتكم لأعطيكم امرًا لكم فيه نصف إنّ ابن اخى قد اخبرنى فلم يكذبنى انّ الله عز وجل برىء من هذه الصحيفة التى فى ايديكم ومحى لكل اسم له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم، فإن كان الحديث الذى قال ابن اخى كما قال فأفيقوا فو الله لا نسلمته ابدا حتى يموت من عند آخرنا، وإن كان قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم قالوا قد رضينا بالذى تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق (ص) قد اخبر خبرها فلما راتها قريش كالذى قال ابو طالب قالوا، والله إن كان هذا قط إلا سحرًا عن صاحبكم فارتكسوا وعادوا لشر ماكانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله (ص) والمسلمين والقيام بما تعاهدوا عليه، فقال أولئك النفر من بنى عبدالمطلب، إنّ أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون وإنا نعلم أنّ الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا انكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى ايديكم طمس الله ما فيها من اسم له. وما كان من بغى تركه أفنحن السحرة أم انتمه

فقال النفر من بني عبد مناف وبني قصى ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني

هاشم منهم ابو البخترى والمطعم بن عدى وزهير بن ابى امية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو، وكانت الصحيفة عنده فى رجال من اشرافهم ووجوههم، نحن براء مما فى هذه الصحيفة، فقال ابو جهل، هذا امر قضى بليل قال موسى بن عقبة، فلما افسد الله صحيفة مكرهم خرج رسول الله (ص) ورهطه فعاشروا وخالطوا الناس (٥٠).

فانظر رحمك الله كيف لم يجعل رسول الله (ص) القرابة في النسب وحدها قرابة معتبرة في احكام الله عز وجل ما لم تقترن بها القرابة الدينية فإنّه كما قد رايت اخرج بني امية من ذوى القربي مع كونهم بني ابيه عبد مناف بن قصى لما كان من عداوتهم له في دين الله تعالى وتكذيبهم لما جاء به من النبوة والرسالة.

وكيف جعل بنى المطلب بن عبد مناف من ذوى القربى لأجل مسالمتهم له فى الجاهلية وتسرعهم إلى مناصرته ومؤازرته وموالاته ومعاضدته وانهم لم يربؤوا بأنفسهم عن نفسه بل امدوه بأنفسهم حيث تخلى عنه الناس ودخلوا معه الشعب مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن ديثا والكافر حمية.

وتأمل ذلك يظهر لك منه فائدتان.

إحداهما، أنَّ العبرة بقرابة الدين لا بقرابة الطين. والثانية، أنَّ مجرد القرابة ليس بشيء وقد قيل أقرب الوسائل المودة وأبعد النسب البغضاء قال،

وأرى القرابة لا تقرب قاطعًا وأرى المودة أكبر الأسباب

⁽٥٠) انظر المرجعين السابقين وانظر كتب التاريخ.

وقال الأعشى:

ولا تطلبن الود من متباعد ولا تأمنن ذى بغضة إن تقربا فإن القريب من يقرب نفسه لعمر أبيك الخير لا من تنسبا

فإذا أقرب الوسائل المودة، وأبعد النسب العقوق، وقد قال تعالى، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَةٌ ﴾ الحجرات، ١٠. فقاربت ولاية الإسلام بين الغرباء.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ هود: ١١. فباعد به بين القرابة.

﴿فصل في استحقاق بني امية للخلافة﴾

ثم إنى اقول يا عجبًا كيف يستحق خلافة رسول الله (ص) على امته شرعًا من لم يجعل له حقا في سهم ذى القربي ام كيف يقيم دين الله من قاتل رسول الله (ص)، ونابذه وكايده وبذل جهده في قتله وليت إذ ولى بنو امية الخلافة عدلوا وانصفوا بل جاروا في الحكم وعسفوا واستأثروا بالفيء كله وحرموه بني هاشم جملة وزادوا في العتو والتعدى حتى قالوا إنما ذو القربي قرابة الخليفة منهم وحتى قرروا عند اهل الشام انه لا قرابة لرسول الله (ص) يرثونه إلا بني امية، فلما قام بالأمر ابو العباس عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس المنعوت بالسفاح، وقتل مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم آخر خلائف بني امية وازال دولتهم دخل عليه مشيخة من اهل الشام، فقالوا والله ما علمنا ان لرسول الله (ص) قرابة يرثونه إلا بني امية حتى وليتم الشام، فقالوا والله ما علمنا ان لرسول الله (ص) قرابة يرثونه إلا بني امية حتى وليتم فقال إبراهيم بن مهاجر،

ايها الناس اسمعوا اخبركم عجبا زاد على كل عجب عجبا من عبد شمس إنهم فتحوا للناس ابواب الكذب ورثوا احمد فيما زعموا دون عباس وعبدالمطلب كذبوا ولله ما نعلمه يحرز الميراث إلا من قرب

وحتى صعد الحجاج بن يوسف يومًا اعواد منبره وقال على رؤوس الأشهاد، ارسولك افضل ام خليفتك ويعرض بأنَّ عبدالملك بن مروان بن الحكم افضل من رسول الله (ص) فلما سمعه جبلة بن زحر قال: لله على الااصلى خلفه ابدًا وإن رايت من بجاهده لأجاهدنه معه، فخرج مع عبدالرحمن بن الأشعث وقتل معه.

ولقد اقتدى بعدو الله الحجاج فى كفره ابن شقى الحميرى: فإنه قام بمجلس هشام بن عبدالملك، وقال امير المؤمنين خليفة الله وهو اكرم على الله من رسوله فانت خليفة ومحمد رسول الله، وحتى ان يوسف بن عمر عامل هشام قال فى خطبته يوم الجمعة إنَّ اول من فتح على الناس باب الفتنة وسفك الدماء على وصاحبه الزنيجي بعنى عمار بن ياسر رضى الله عنه، فهذا كما ترى وإلى الله المشتكى.

وقد خرج الحاكم من حديث سفيان عن ابى إسحاق عن عمر وذى مر عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى قوله عز وجل: «وَأَحَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ» [إبراهيم، ٢٨] قال: هما الافجران من قريش بنو امية وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر، واما بنو امية فمتعوا إلى حين.

قال الحاكم، هذا حديث صحيح.

وسئل على رضى الله عنه عن بنى امية وبنى هاشم فقال هم اكثر وانكر وامكر، ونحن افصح واصبح واسمح.

وقال ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا حشرج بن نباتة قال حدثنى سعد بن جمهان قلت لسفينة ان بنى امية يزعمون ان الخلافة فيهم، فقال كذب بنو الزرقاة بل هم ملوك من اشد الملوك وأول الملوك معاوية.

وما زلت طول الأعوام الكثيرة اعمل فكرى فى هذا واشباهه التى يطول ذكرها واذاكر به من ادركت من مشيخة العلم ومن لقيت من حملة الآثار ونقلة الأخبار فلا أجد فى طول عمرى سوى رجلين؛ إما رجل عراه ما عرانى وساءه ماقد دهانى فهو يحذو فى المقال حذوى ويشكو من الألم شكواى.

وإما رجل يرتع في ميدان تقليده ويجول في عرصات تهوره وتفنيده، فلا يزيدني على التهويل والهدر الطويل إلى أن اتضح لي والحمد لله وحده سبب اخذ بني أمية الخلافة ومنعها بني هاشم، وذلك أن اعجاز الأمور لا تزال أبدا تالية لصدورها، وإلا سافل من كل شيء تابعة لأعاليها وكل أمركان خافيا إذا انكشف سببه زال التعجب منه، وما بعد على من سبب أخذ بني أمية الخلافة وتقدمهم فيها على بني هاشم إلا من أجل الاعراض عن الاعتناء بتعرف أوائل ذلك، وقلة البحث عن غوامضه وإن الشيء لم يوضع في مواضعه وإنما سلك فيه الكافة إلا قليلاً مذهب التعصب.

﴿فصل في عمال الرسول (ص) من بني امية﴾

والواجب علي العاقبي بعد معرفة ماخفى من السبب الاذعان والتسليم وترك الاعتراض فماذا بعد الحق إلا الضلال وذلك أنه لا خلاف بين أئمة الحديث ونقاد

الأخبار وعلماء السير والأثار، أن الرسول (ص) توفى وعامله على مكة أبو عبدالرحمن عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى، أحد من أسلم يوم فتح مكة وأنه لم يزل على مكة منذ فتحها الله على رسوله (ص) عام ثمان من الهجرة إلى أن توفاه الله عز وجل فأقر أبو بكر عتابًا حتى ماتا في يوم واحد.

وكان (ص) قسم اليمن بين خمسة رجال خالد بن سعيد على صنعاء والمهاجر بن أبى أمية على كندة وزياد بن لبيد على حضرموت ومعاد بن جبل على الجند، وأبا موسى الأشعرى على زبيد ورمع وعدن، فكان عامل رسول الله (ص) على صنعاء اليمن كما تقدم خالد بن سعيد بن العاصى بن أمية بن عبد شمس بعثه (ص) إليها سنة عشر من الهجرة، وقد مات باذام ليكون على صدقات اليمن، فتوفى رسول الله (ص) وخالد على اليمن.

وكان ابان بن سعيد بن العاصى بن امية على البحرين برها وبحرها منذ عزل العلاء بن الحضرمى حليف بنى امية، وقيل بل مات رسول الله (ص) والعلاء على البحرين وكان عمرو بن سعيد بن العاصى بن امية على ايماء وخيبر وتبوك وفدك، فلما توفى رسول الله (ص) رجع خالد بن سعيد وابان وعمرو عن عمالتهم.

فقال أبو بكر ما لكم رجعتم عن عمالتكم ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله (ص) أرجعوا إلى أعمالكم فقالوا نحن بنو أبى أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله (ص) أبدًا، ثم مضوا إلى الشام وقاتلوا فقتلوا في مغازيها، فيقال ما فتحت بالشام كورة من كور الشام إلا وجد عندها رجل من بني سعيد بن العاصى ميتًا.

وكان ابو سفيان بن حرب بن امية على نجران فمات رسول الله (ص) وهو عليها

وقيل بل كان على نجران لما توفى رسول الله (ص) وعمرو بن حزم بن زيد بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى.

قال الواقدى عن إبراهيم بن جعفر عن ابيه عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أنه قال توفى رسول الله (ص) واربعة من بنى امية عماله عتاب بن اسيد على مكة، وابان بن سعيد بن العاصى على البحرين وخالد بن سعيد على صنعاء، وابو سفيان بن حرب على نجران (٥١).

قال الواقدى: اصحابنا مجمعون على أن رسول الله (ص) قبض وأبو سفيان حاضر.

وقال ابن الكلبى، كان ابو سفيان غائبًا فلما قدم قال، كيف رضيتم يا بنى عبد مناف ان يلى امركم غيركم وقوم يقولون ان رسول الله (ص) ولى ابا سفيان صدقات خولان ونخلة وولى يزيد بن ابى سفيان على نجران والله اعلم.

وكان على جرش سعيد بن القشب الأزدى حليف بنى امية، فمات رسول الله (ص) وهو عليها وكان المهاجرين امية بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم المخزومي اخو أم سلمة ام المؤمنين رضى الله عنها على صدقات كندة والصدف، ثم ولاه أبو بكر اليمن.

وكان عمرو بن العاصى بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمى حين وفاة

⁽٥١) انظر التعليق على هذا الكلام في الملحق. والواقدي هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ولي قضاء بغداد له المغازي والسير توفي عام ٢٠٧هـ.

رسول الله (ص) على عمان بعدما بعثه النبى (ص) على سرية نحو الشام إلى اخوال أبيه العاصى بن وائل من بلى يدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم إلى الجهاد، ثم امده رسول الله (ص) بجيش فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم فصلوا خلفه (٥٢).

ثم عمل عمرو بن العاصى بعد رسول الله (ص) لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وكان على الطائف عثمان بن ابى العاصى بن بشر بن عبد دهمان الثقفى ومات رسول الله (ص) وهو عليها.

فإذا كان رسول الله قد أسس هذا الأساس وأظهر بنى أمية لجميع الناس بتوليتهم أعماله فيما فتح الله عليه من البلاد كيف لا يقوى ظنهم ولا ينبسط رجاؤهم ولا يتحد في الولاية أملهم؟.

ام كيف لا يضعف امل بنى هاشم وينقبض رجاؤهم ويقصر املهم وكبيراهم العباس بن عبدالمطلب وابن اخيه على بن ابى طالب رضى الله عنهما يريد احدهما استعلام رسول الله (ص) فى مرض موته عن هذا الأمر هل هو فيهم ام فى غيرهم ويابى الأخر ذلك.

كما اخرج البخارى من حديث الزهرى قال اخبرنى عبدالله بن كعب بن مالك الأنصارى ان عبدالله بن عباس آخبره ان على بن ابى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله (ص) فى وجعه الذى توفى فيه، فقال الناس يا ابا الحسن كيف اصبح -

⁽۵۲) الغزوة المشار إليها هنا هي غزوة ذات السلاسل. انظر سيرة ابن هشام والبخاري كتاب الفضائل باب فضائل ابي بكر وشرح الحديث في فتح الباري جـ ٧.

رسول الله (ص) قال اصبح بحمد الله بارتا فأخذ بيده عباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه فقال له انت والله بعد ثلاث عبد العصا وانى والله لأرى رسول الله (ص) يتوفى من وجعه هذا وإنى لا اعرف وجوه بنى عبدالمطلب عند الموت اذهب بنا إلى رسول الله (ص) فلنسأله فى هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال على إنا والله لئن سألناها رسول الله (ص) فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وإنى والله لا اسألها من رسول الله (ص)

ورواه محمد بن إسحاق عن الزهرى إلا انه لم يذكر ما قال فى العصا، وزاد فى آخره فتوفى رسول الله (ص) حين اشتد الضحى من ذلك اليوم.

وفى رواية، وخلا العباس بعلى، فقال له، هل تعلم أن رسول الله (ص) أوصى إلى غيرك بشيء؟ فقال على؛ اللهم لا، فخرج العباس على بغلة له حتى أتى عسكر أسامة بن زيد فلقى أبا بكر وعمر وغيرهما، فقال: هل أوصاكم رسول الله (ص) بشيء قالوا: لا، فرجع إلى على فقال؛ إن رسول الله (ص) مقبوض فامدد يدك أبايعك، فيقال عم رسول الله (ص) بايع أبن عم رسول الله ويبايعك أهل بيتك فإن مثل هذا الأمر لا يؤخر فقال؛ يرحمك الله ومن يطلب هذا الأمر غيرنا يا عم؟

وفى رواية أن العباس قال لعلى هلم يدك أبايعك، فقال إن لى برسول الله شغلاً ومن ذاك الذى ينازعنا هذا الأمر؟

وروایة البخاری وعبدالرزاق اثبت، وقال ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر حدثنی محمد بن عبدالله بن اخی الزهری، قال سمعت عبدالله بن حسن یحدث عمی الزهری

⁽٥٣) انظر كتب التاريخ فترة وفاة النبي (ص) وسيرة ابن هشام.

يقول حدثتنى فاطمة بنت الحسين قالت لما توفى رسول الله (ص) قال العباس يا على قم حتى ابايعك ومن حضر فإن هذا الأمر إذا كان لم يرد مثله، والأمر في ايدينا.

فقال على واحد يطمع فيه غيرنا.

فقال العباس، اظن والله سيكون.

فلما بويع لأبى بكر ورجعوا إلى المسجد سمع على التكبير. فقال: ما هذا؟ فقال العباس مادد مثل العباس هذا ما دعوتك إليه فابيت على؟ فقال على: أيكون هذا؟ فقال العباس مارد مثل هذا قط.

فقال محمد بن عمر الواقدى قد خرج ابو بكر من عند النبى (ص) حين توفى وتخلف عنده على والعباس والزبير، فذلك حين قال العباس هذه المقالة، واخرجه عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى بمعناه، قال عبدالرزاق وكان معمر يقول لنا أيهما كان اصوب عندكم رايًا فنقول؛ العباس فيأبى ثم قال؛ لو أن عليًا سأله عنها فأعطاه إياها فمنعه الناس كانوا قد كفروا.

قال عبدالرزاق فحدثت به ابن عيينة فقال: قال الشعبى لو أن عليًا ساله عنها كان خيرًا له من ماله وولده.

وروى إسماعيل بن خالد عن الشعبى قال: قال العباس لعلى رضى الله عنهما حين مرض النبى (ص) إنى أكاد اعرف في وجه رسول الله (ص) الموت فانطلق بنا إليه نسأله من يستخلف فإن استخلف منا فذاك وإلا أوصى بنا، فقال على للعباس؛ كلمة

فيها جفاء فلما قبض النبى (ص) قال العباس لعلى: ابسط يدك فلنبايعك فقبض يده قال الشعبى لو أن عليًا أطاع العباس كان خير له من حمر النعم (٥٤).

﴿فصل فيما ورد في بني امية﴾

وقد رويت مع هذا الحديث احاديث اخرى إن كانت صحيحة فلا سبيل إلى ردها وإن كانت مفتعلة فقد صارت داعية إلى الأمر الذي وقع النزاع فيه وطال الخصام عليه.

منها ما رواه ابن الكلبى عن الحكم بن هشام الثقفى قال مات عبيدالله بن جحش عن ام حبيبة بنت ابى سفيان وكانت معه بارض الحبشة فخطبها (ص) إلى النجاشى فدعا بالقريشين، فقال: من اولاكم بأمر هذه المراة؟

فقال خالد بن سعيد بن العاصى انا اولاهم بها قال فزوج نبيكم، قال فزوجه ومهر عنه النجاشى اربعمائة دينار، فكانت اول امراة مهرت اربعمائة دينار وحملت إلى النبى (ص) ومعها الحكم بن ابى العاص فجعل النبى (ص) يكثر النظر إليه.

فقيل يا رسول الله إنك لتكثر النظر إلى هذا الشاب..

فقال إليس ابن المخزومية؟

قالوا، بلي.

قال، إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً كان الأمر فيهم (٥٥).

وكان مروان بن الحكم إذا جرى بينه وبين معاوية بن ابى سفيان كلام قال لمعاوية إنى والله لأبو عشرة واخو عشرة وعم عشرة وما بقى إلا عشرة حتى يكون الأمر فى، فيقول معاوية اخذها والله من عين صافية فهذا الحديث كما تسمع.

⁽٥٤) انظر تطهير الجنان واللسان.

⁽٥٥) رواه البزار؛ إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا.

وقد روى ابو بكر بن ابى شيبة من حديث عبدالله بن عمير، قال، قال معاوية ما زلت اطمع فى الخلافة مذ قال رسول الله (ص) إن ملكت يا معاوية فأحسن (٥٦).

قال وكيع عن الأعمش عن أبى صالح قال: كان الحادى يحدو بعثمان رضى الله عنه ويقول:

إن الأمير بعده على وفي الزبير خلف رضى

فقال كعب الأحبار بل هو صاحب البغلة الشهباء يعنى معاوية فبلغ ذلك معاوية فاتاه، فقال يا أبا إسحاق ما تقول هذا وها هنا على والزبير وأصحاب محمد (ص) قال أنت صاحبها.

وقد جاء من طرق عن ابى هريرة ان رسول الله (ص) قال: «رايت فى النوم بنى الحكم أو بنى ابى العاص ينزون على منبرى كما تنزوا القردة قال: فما رؤى النبى (ص) مستجمعًا ضاحكًا حتى توفى (٥٧).

وعن سعيد بن المسيب قال، راى النبى (ص) بنى أمية على منابرهم فساءه ذلك فأوحى إليه إنما هى دنيا اعطوها فقرت عينه وهى قوله تعالى، «وَمَا جَعَلْنَا الرُّوْيَا الَّتِي الْمَاكُ إِلاَّ فَتَدَةً لَنَاسِ [الإسراء: ٦٠].

يعنى بلاء للناس وقد روى أن رجلا قام إلى الحسن بن على رضى الله عنهما فقال

⁽٥٦) انظر الإصابة ترجمة معاوية.

⁽٥٧) انظر تطهير اللسان.

وعن ابى هريرة وابى سعيد الخدرى ان رسول الله (ص) قال إذا بلغ بنو ابى العاصى اربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا.

قال الزيير بن بكار قال عمى مصعب عن عبدالله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزيير او غير عبدالله وحداثيه محمد بن الضحاك الحزامى عن ابيه ان عمرو بن عثمان بن عفان اشتكى وكان العواد يدخلون عليه فيخرجون وتخلف مروان بن الحكم عنده فيطيل فانكرت رملة بنت معاوية ذلك وهى امراة عمرو بن عثمان فخرقت كوة واستمعت على مروان فإذا هو يقول لعمرو ما اخذ هؤلاء الخلافة إلا باسم أبيك فما يمنعك ان تنهض بحقك فنحن اكثر منهم رجالا منا فلان ومنهم فلان ومنا فلان ومنهم فلان ومنهم فلان ومنهم فلان حتى عدد رجالا، ثم قال ومنا فلان وهو فضل وفلان وهو فضل حتى يعدد فضول رجال بنى ابى العاص على بنى حرب فلما برا عمرو تجهز للحج وتجهزت رملة فى جهازه، فلما خرج عمرو إلى الحج خرجت رملة إلى ابيها فقدمت عليه الشام فقال لها معاوية واسواتاه وما للحرة تطلق طلقك عمرو فأخبرته الخبر وقالت وما زال يعد فضل رجال بنى ابى العاص على بنى حرب حتى إبنى عثمان وخالد بن عمرو فتمنيت انهما ماتا فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم،

اواضع رجل فوق اخرى تعدنا عديد الحصى ما أن تزال تكاثر وامكم تزجى توامًا لبعلها وام اخيكم نرزة الولد عاقر

وأشهد يا مروان أنى سمعت رسول الله (ص) يقول، إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مأل الله دولا ودين الله دخلا وعباد الله خولا فكتب إليه مروان، أما بعد يا معاوية فإنى أبو عشرة وعم عشرة والسلام.

وروى عن معاوية أنه قال لعبدالله بن عباس رضى الله عنهما أنشدك الله يابن عباس أما تعلم أن رسول الله (ص) ذكر هذا - يعنى مروان بن الحكم - فقال أبو الجبابرة الأربعة فقال أبن عباس اللهم نعم.

﴿فصل الخلفاء وبني امية﴾

وقد اقتدى برسول الله (ص) فى ولاية الأعمال ابو بكر فإنه لما استخلف بعد رسول الله (ص) وارتدت العرب قطع البعوث وعقد احد عشر لواء على احد عشر جندا فعقد لخالد بن الوليد المخزومي وبعثه لقتال طليحة بن خويلد الأسدى ثم مالك بن نويرة وعقد لعكرمة بن ابى جهل المخزومي وبعثه لقتال مسليمة بن ثمامة بن المطوح بن ربيعة الحارث وعقد للمهاجر بن ابى امية المخزومي وبعثه لقتال جنود الأسود بن كعب ابن عوف العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح.

وعقد لخالد بن سعيد العاصى بن أمية وبعثه إلى مشارف الشام.

وعقد إلى عمرو بن العاص وبعثه إلى قضاعة وعقد لحذيفة بن محصن العلقانى من علقان بن شرحيل بن عمرو بن مالك بن يزيد ذى الكلاح وبعثه إلى اهل دبا، وهى مدينة قديمة من مدن عمان.

وعقد لعرفجة بن هرثمة وبعثه إلى مهرة وبعث شرحبيل بن حسنة في اثر عكرمة ابن أبي جهل فإذا فرغ من اليمامة لحق قضاعة.

وعقد لطريفة بن حاجم وبعثه إلى بنى سليم ومن معهم من هوزان وعقد لسويد ابن مقرن بن عائد المزنى، وبعثه إلى تهامة اليمن.

وعقد للعلاء بن الحضرمى وبعثه إلى البحرين فلحق كل امير بجنده حتى انقضت حروب الردة، فبعث ابو بكر خالد بن الوليد لفتح العراق واردفه بغيلان ابن غنيم بن زهير بن ابى شداد بن ربيعة هلال بن وهيب الفهرى وامدهما بالقعقاع بن عمرو وجهز الجنود إلى الشام فبعث خالد بن سعيد بن العاصى واردفه بذى الكلاع وعكرمة بن ابى جهل وعمرو بن العاصى والوليد بن عقبة وعقد ليزيد بن ابى سفيان بن حرب على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه وجهزه عوضًا عن خالد بن الوليد.

وعقد لأبى عبيدة بن الجراح وبعثه إلى حمص، وامد يزيد بن أبى سفيان بأخيه معاوية بن أبى سفيان ومعه جيش فنزل أبو عبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاء، ونزل شرحبيل بن حسنة الأردن، وقبل بصرى، ونزل عمرو بن العاص القريات.

ولما مات ابو بكر واستخلف من بعده عمرو بن الخطاب كانت عماله على مكة نافع بن عبدالحارث الغزاعى، وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص بن أمية، ثم سفيان بن أبى عبدالله الثقفى، وعلى اليمن يعلى بن منبه، وعلى عمان واليمامة حذيفة بن محصن، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى، ثم عثمان بن أبى العاص، وعلى الكوفة سعد بن أبى وقاص، ثم المغيرة بن شعبة، ثم عمار بن ياسر، ثم أبو موسى الأشعرى وعلى البصرة المغيرة بن شعبة، ثم أبو موسى الأشعرى، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، ثم يزيد بن أبى سفيان، ثم معاوية بن أبى سفيان وعلى الجزيرة عياض بن غنم وعلى مصر عمرو بن العاص.

فانظر كيف لم يكن في عمال رسول الله (ص) ولا في عمال ابي بكر وعمر احد من بني هاشم فهذا وشبهه هو الذي حدد انياب بني امية وفتح ابوابهم واترع كاسهم وفتل امراسهم حتى لقد وقف ابو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضى الله عنه فقال رحمك الله ابا عمارة لقد قاتلتنا على امر صار إلينا (٥٨).

وروى أن الأمر لما أفضى إلى عثمان بن عفان أتى أبو سفيان قبر حمزة فركله برجله، ثم قال: يا حمزة إنَّ الأمر الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكنا أحق به من تيم وعدى.

قال كاتبه، وما هى إلا الدنيا وإنَّ الدين لعارض فيها والعاجلة محبوبة، وبهذا ارتفعت رؤوس وضعفت نفوس فإن دلائل الأمور تسبق وتباشير الخير تعرف ولله فى خلقه قضاء يمضيه ويأبى الله أن يتم شىء من أمر الدنيا إلا ويعتريه النقص.

﴿فصل اختصاص بني هاشم﴾

لما كانت بنو هاشم من قريش اختصها الله سبحانه بهذا الأمر اعنى الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب فحازت بذلك الشرف الباقى وكانت احوال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائلة لهذا ازواها الله تعالى عنهم تنبيها على شرفهم وعلو مقدارهم فإن ذلك هو خيرة الله لنبيه محمد (ص) كما ثبت انه (ص) لما خير اختار ان يكون نبيا عبدا ولم يختر ان يكون نبيا ملكا، وسأل مثل ذلك لآله كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عمارة عن ابي زرعة عن ابي هريرة قال، قال رسول الله (ص) اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا.

وروى ابو عيسى الترمذى حديث عبيدالله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم ابى عبد الرحمن عن ابى امامة عن النبى (ص) قال: عرض على ربى ليجعل لى بطحاء

⁽٥٨) انظر التعليق على هذا الكلام في الملحق.

مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن اشبع يوما واجوع يوما، او قال ثلاثا، او نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك، وقال الترمذى، هذا حديث حسن.

واخرج البخارى من حديث ابن ابى ليلى حدثنا على رضى الله عنه أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها أن رسول الله (ص) أتى بسبى فأنته تسأله خادمًا فلم توافه فذكرت لعائشة فجاء النبى (ص) فذكرت ذلك عائشة له فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم، فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى فقال الا ادلكما على خير مما سألتما إذا اخذتما مضاجعكما، فكبرا أربعًا وثلاثين وأحمدا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين فإن ذلك خير لكما مما سألتما.

واخرجه مسلم ایصنا ولأبی داود من حدیث ابی الورد عن علی بن اعبد قال: قال لی علی رضی الله عنه الا احدثك عنی وعن فاطمة بنت رسول الله (ص) وكانت من احب اهله إلیه، قلت بلی، قال فإنها جربت بالرحی حتی اثر فی یدها واستقت بالقربة حتی اثر فی نحرها وكنست البیت حتی اغبرت ثیابها فاتی النبی (ص) خدم فقلت لو اتیت اباك فسالتیه خادما؟ فاتته فوجدت عنده حداثا فرجعت فاتاها من الغد فقال، ماكان حاجتك فسكنت فقلت: انا احدثك یا رسول الله جرت الرحی حتی اثرت فی یدها، وحملت القربة حتی اثرت فی نحرها فلما ان جاء الخدم امرتها ان تاتیك فتستخدمك خادما تقیها حر ما هی فیه، فقال اتقی الله یا فاطمة وادی فریضة ربك واعملی عمل اهلك. فإذا اخذت مضجعك فسبحی ثلاثا وثلاثین، واحمدی ثلاثا وثلاثین، واحمدی ثلاثا وثلاثین، وکبری اربعا وثلاثین، فهی خیر لك من خادم. قالت رضیت عن الله وعن رسوله.

وفى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عامر بن سعد عن ابيه عن النبى (ص) انه قال: إنى لأعطى الرجل وغيره احب إلى منه خشية أن يكب في النار على وجهه.

وفى رواية، فو الله إنى لأعطى الرجل وادع الرجل والذى ادع احب إلى من الذى اعطى ولكنى اعطى اقوامًا لما ارى فى قلوبهم من الجزع والهلع فأكل اقوامًا إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير ومن حديث انس بن مالك عن النبى (ص) (انه قال) فإنى اعطى رجالا حديثى عهد بكفر اتألفهم.

وروى ابن وهب من عـمـرو بن الحـارث أن بكر بن سـوادة حـدثه أن أبا سـالم الجيشانى حدثه عن أبى ذر أن رسول الله (ص) قال له، كيف ترى جعيلاً - جعيل بن سراقه؟

قال: قلت كشكله من الناس قال: فكيف ترى فلاثا قلت سيدًا من سادات الناس، قال: فجعيل خير من ملء الأرض ذهبًا أو القا ونحو ذلك من فلان، قال: قلت يا رسول الله ففلان هكذا وأنت تصنع به ما تصنع قال إنه رأس قومه وأنا اتالفهم به.

قال جامعه وهذا على بن إبى طالب رضى الله عنه كان يعلم أن رسول الله (ص) يربأ ببنى هاشم من ولاية الأعمال كما ثبت فى مسلم وغيره من حديث مالك عن أبى شهاب أن عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبداللطلب حدثه أن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه.

قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبدالمطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين (قال لى وللفضل بن العباس) إلى رسول الله (ص) فكلماه فأمرهما على هذه الصدقات فأديا ما يؤدى الناس وأصابا مما يصيب الناس.

قال فبيناهما فى ذلك جاء على بن ابى طالب رضى الله عنه فوقف عليهما فذكر له ذلك، فقال لا تفعلا فو الله ماهو بفاعل فانتحاه ربيعة بن الحارث، فقال، والله ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا فو الله لقد نلت صهر رسول الله (ص) فما نفسناه عليك.

قال على: ارسلوهما، فانطلقا واضطجع.

فلما صلى رسول الله (ص) الظهر سبقناه إلى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فاخذ بآذاننا ثم قال: اخرجا ما تسران، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش.

قال: فتواكلنا الكلام، ثم تكلم احدنا، فقال: يا رسول الله انت ابر الناس واوصل الناس وقد بلغنا النكاح - أى الحلم - فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدى إليك كما يؤدى الناس، ونصيب كما يصيبون.

فسكت طويلاً حتى اردنا أن نكلمه وجعلت زينب تلمع إلينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه.

قال ثم قال إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد إنما هى اوساخ الناس ادعو إلى محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب فجاءا، فقال لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك للفضل بن العباس فأنكحه.

وقال لنوفل بن الحارث انكح هذا الغلام ابنتك لى فانكحنى. وقال لحمية اصدق عنهما من الخمس كذا وكذا.

فهذا اعزك الله وإن كان إنما فيه منع بنى هاشم من تناول الصدقة لأنها محرمة عليهم فإن رسول الله (ص) إنما كانت اعماله التى يستعمل عليها عماله على قسمين، إما للحرب او على الصدقات فمنع رسول الله (ص) بنى هاشم من العمل على الصدقة بنصيب العامل وهو الصحيح انهم لا يستعملون عليها تنزيها لهم ولبنى المطلب عن اوساخ الناس لكرامتهم.

وقد كان غير واحد من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم يعلمون أن آل البيت ارفع قدرًا عند الله من أن يبتليهم بأعمال الدنيا منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب لما خرج الحسين بن على رضى الله عنهما يريد العراق وقد كتبت إليه شيعته وحثوه على مسيره إليهم ليقوم بأمر الأمة بدل يزيد بن معاوية لحقه عبدالله على مسيرة ليلتين، وقال: أين تريد؟

قال: العراق.

قال لاتأتهم.

قال: هذه كتبهم وبيعتهم.

فقال إن الله عز وجل خير نبيه (ص) بين الآخرة والدنيا فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا وإنك بضعة من رسول الله (ص) والله لا يليها احد منكم وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم فارجع.

فأبى الحسين وقال هذه كتبهم وبيعتهم.

فأعتنقه عبدالله بن عمر وقال استودعك الله من قتيل فكان كما قال ابن عمر (٥٩).

⁽٥٩) مثل هذه الرواية المشهورة في كتب التاريخ تريد التاكيد على أن الحسين خرج طلبًا للحكم والإمارة ولم يكن الأمر كذلك فما قام به الحسين هو ثورة كان الهدف منها إعادة الصورة الحقيقية للإسلام وتثبيته على ساحة الواقع بعد أن شوهه معاوية وولده وعزلوه عن الواقع وعزلوا المسلمين عنه. انظر الملحق.

وكذلك قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما للحسين، والله يا ابن أخى ماكان الله ليجمع لكم بين النبوة والخلافة وهذا من فقههما.

وقد اشار الحسن بن على رضى الله عنهما إلى ذلك فى خطبته لما ترك الخلافة التى صارت إليه بعد ابيه وتنزه عنها وترفع عن منازعة معاوية فلما دخل معاوية الكوفة اشار عليه عمرو بن العاصى ان يأمر الحسن فيخطب الناس ظنا منه انه يعيا فخطب معاوية، ثم اشار إلى الحسن ان يخطب فقام فحمد الله.

ثم قال: (ايها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وإن الله عز وجل قال لنبيه (ص) «وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْدَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ « [الأنبياء: ١١١] فلما قالها قال معاوية اجلس وحقدها على عمرو، وقال: هذا من رأيك فصدق الحسن فيما قاله.

﴿فصل في خروج الخلافة﴾

ذهب بعضهم إلى أن السر في خروج الخلافة بعد رسول الله (ص) عن على بن أبى طالب إلى أبى بكر وعمر ثم عثمان أن عليًا لو ولى الخلافة حينتُد وهو أبو الحسنين لأوشك أن يقول قائل ويتخيل متخيل أنه ملك متوارث لا يكون إلا في أهل البيت كما تزعمه الرافضة فصان الله العقائد من هذه الشبهة كما صانها من شبهة قول القائل عن النبي (ص) هو رجل يطلب ملك أبيه وهو معنى حسن ولهذا السرجعل (ص) الخلافة لعامة قريش ولم يختص بها أهل بيته بل ولا بني هاشم حتى لا يتخيل أنه ملك متوارث والله أعلم (٢٠).

⁽٦٠) انظر التعليق على هذا الكلام في الملحق.

وقد ظهر لى أن ولاية رسول الله (ص) بنى أمية الأعمال كانت إشارة منه (ص) إلى أن الأمر سيصير إليهم ولى بحمد الله فى هذا النحو خير سلف وأجل قدوة منهم سعيد بن المسيب رحمه الله.

قد ثبت فى البخارى ومسلم من حديث ابى موسى الأشعرى فى حديث جلوس رسول الله (ص) على بئر اريس ودخول ابى بكر وعمر وجلوسهما عن يمينه وشماله معه (ص) فى القب ودخول عثمان بن عفان وجلوسه تجاههم من الشق الآخر وان سعيد بن المسيب قال فتاولت ذلك قبورهم اجتمعت ها هنا وانفرد قبر عثمان، وثبت من حديث جابر بن عبدالله ان رسول الله (ص) نحر فى حجته التى يقال لها حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة فكان فى نحره هذا العدد من البدن إشارة إلى ان مدة حياته (ص) ثلاث وستون سنة.

وثبت من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه إن رسول الله قال: إن اامن الناس على فى صحبته وماله وابو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا إلا خلة الإسلام لا تبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة ابى بكر (٦١).

فكان امر رسول الله (ص) بإبقاء خوخة ابى بكر رضى الله عنه فى المسجد مع منع الناس كلهم من ذلك إشارة ودليل على خلافته بعد رسول الله (ص) وأن ذلك من رسول الله (ص) تنبيها للناس بأن أبا بكر يصير إمام المسلمين ويخرج من بيته إلى المسجد كما كان رسول الله (ص) يخرج.

⁽٦١) انظر البخارى ومسلم باب فضل ابى بكر. وحديث خوخة ابو بكر مردود بأحاديث اخرى لصالح خوخة على. انظر الترمذي كتاب المناقب ومجمع الزوائد للهيثمي جـ ١١٤/٩ ومسند احمد.

دكره ابن بطال وقد جعل جمهور الصحابة استخلاف رسول الله (ص) ابا بكر في الصلاة وهو مريض دليلا وإشارة إلى انه الخليفة من بعد رسول الله (ص)، وقالوا، قد رضيه رسول الله (ص) لديننا، افلا نرضاه لدنيانا (٦٢)؟

وثبت فى الصحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان عمر يدخلنى مع اشياخ بدر، فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله، فقال إنه مهن قد علمتهم.

قال؛ فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم وما رايته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني.

فقال، ماتقولون في «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفُواجًا « حتى ختم السورة، فقال بعضهم امرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا.

وقال بعضهم لا ندرى او لم يقل شيئا.

فقال لي يا ابن عباس أكذا هو؟

قلت، لا.

قال؛ فما تقول؟

قلت، هو اجل رسول الله (ص) اعلمه الله له يقول إذا جاء نصر الله والفتح، فتح مكة فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا.

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم، فهذا فهم الصحابة والتابعين وهم القدوة وبهم الأسوة. وفقنا الله لاتباعهم.

⁽٦٢) هذا الكلام من استنتاجات بعض الفقهاء والمؤرخين وليس محل إجماع.

﴿فصل في بني العباس﴾

إياك والاعتراض على ما تقدم باخذ بنى العباس بن عبدالمطلب بن هاشم الخلافة وانهم اقاموا خلفاء نيفا على خمسمائة وعشرين سنة فإن الخلافة إنما صارت إليهم بعدما ضعف امر الدين وتخلخلت اركانه وتداول الناس امر الأمة بالغلبة فأخذها حينئذ بنو العباس بايدى عجم اهل خراسان ونالوها بالقوة ومناهضة الدول ومشاورة الملوك حتى ازالوا بعجم خراسان دولة بنى امية وتناولوا العزكيف كان فما وصل امر الأمة إلى اهل العدالة والطهارة ولا وليهم ذوو الزهادة والعبادة ولا ساسهم ارباب الورع والأمانة بل استحالت الخلافة كسروية وقيصرية بحيث أن إبراهيم الإمام ابن محمد بن على بن عبدالله بن عباس لما وجه ابا مسلم الخراساني إلى دعاته بخراسان ووصاهم ان يسمعوا له ويطيعوا، قال له انك رجل منا اهل البيت احفظ وصيتي انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم واسكن بين اظهرهم فإن الله لا يتم الأمر إلا بهم واتهم ربيعة في امرهم واما مضر فإنهم العدو القريب الدار واقتل من شككت فيه، وإن استطعت ان لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، وايما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله (١٢).

فاين اعزك الله هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعمالهم.

وتالله لو توجه ابو مسلم إلى ارض الحرب ليغزو اهل الشرك بالله لما جاز ان يوصى بهذا، فكيف وإنما توجه إلى دار الإسلام وقتال ابناء المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب لينتزع من ايديهم ما فتحه آباؤهم من ارض الشرك ليتخذ مال الله دولا وعبيده خولا فعمل ابو مسلم بوصية إبراهيم الإمام حتى غلب على ممالك خراسان وتخطت عساكره إلى العراق فيقال إنه قتل ستمائة الف إنسان وسار في الناس بالعسف والجبرية.

⁽٦٣) انظر هذه الوصية في تاريخ اليعقوبي جـ ٢ /٢٦٢. وانظر حوادث عام ١٢٩هـ ومابعدها في كتب التاريخ.

فمن سىء سيرته إنه لما قوى أمره وصار فى عسكر ودخل مرو فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة واستولى عليها اراد الغدر بنصر بن سيار وقد آنسه وبسطه وضمن له أن يكف عنه ويقوم بشأنه عند الإمام.

فبعث مع لاهز بن قريط وسليمان بن كثير وعمران بن إسماعيل وداود بن كراز يعلمه أن كتابًا أتاه من الإمام يعده فيه ويمنيه ويضمن له الكرامة ويقول له أنى أريد مشافهته، وقرأ كتاب الإمام عليه، يريد بذلك أنه إذا أتاه قبض عليه.

فلما اتنه الرسل تلا لاهز قول الله تعالى: «إِنَّ الْمَلاَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ« [القصص: ٢٠].

فتنبه نصر على ما اراد من تحذيره، فقال: أنا صائر معكم إلى الأمير أبى مسلم، ودخل بستانا له كأنه يريد أن يلبس ثبابه ويركب دابته وهرب إلى الرى.

وسال ابو مسلم عنه فأخبر بتلاوة لاهز الآية، فقال له، يا لاهز اعصيته في الدين؟ قوما فاضربا عنقه، فضربت عنق لاهز.

وكان سليمان بن كثير الخزاعى احد نقباء الدعوة فقتله أبو مسلم، لأنه كره سيرته واخذ عنقود عنب، فقال اللهم سود وجه أبى مسلم كماسودت هذا العنقود واسقنى دمه.

قال أيضًا: حفرنا نهرًا بأيدينا، فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء - يعنى أبا مسلم -.

وقتل زياد بن صالح من أجل أنه بلغه عنه أنه يقول إنما بايعنا على إقامة العدل وإحياء السنن، وهذا جائر ظالم يسير بسير الجبابرة وإنه مخالف.

وكان لزياد بلاء حسن فى إقامة الدولة فلم يرع له، فغضب عيسى بن ماهان مولى خزاعة لقتل زياد ودعا لحرب أبى مسلم سرا، فاحتال عليه بأن دس إلى بعض ثقاته بقتله فكتب إليه أن رسول أمير المؤمنين - يعنى السفاح - قد قدم على الأمير بخلع وبر له وللأولياء فصر إلينا لتشركنا فى امرنا.

فقدم عليه فأخذه وادخله جوالق وضريه بالخشب حتى قتل.

وكان افلح بن مالك بن اسماء بن خارجة الفزارى بخراسان وكان صديقا لأبى مسلم يلاعبه الشطرنج ويؤانسه وكان ذا قدر بخراسان فلما ظهرت الدعوة قدم على ابى مسلم وقال:

قل للأمير أمين الإمام وصى وصى وصى وصى وصى اليتك لا طالبًا حاجة ومالى فى أرضكم من كفى

فكان أبو مسلم يبره ويكرمه، ثم أمر بقتله فقيل له صديقك وأنيسك، فقال، رايته ذا همة وأبهة فقتلته مخافة أن يحدث حدثا وكان لا يقعد على الأرض إذا قعدت على السرير ولقد كان على كريما وكنت له محبًا.

فعير أبو جعفر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيره له لما عزم على قتله.

وكان ابو مسلم يخدم يونس بن عاصم فابتاعه منه بكير بن ماهان باربعمائة درهم وبعث به إلى إبراهيم الإمام فلما ملك ابو مسلم مرو قدم عليه يونس بن عاصم فاكرمه غاية الإكرام. ثم دس إليه رجلا، فقال: سله عن حاله عندى ولم اكرمته؟ فساله.

فقال؛ كنت قهرماثا له ناصحًا.

فقال له ابو مسلم: أبيت إلا كرمًا.

فقال، يا ابن اللخناء اردت ان اقول إنك كنت لى خادمًا فتقتلنى، فبالله اسألك لو لم اقلب المعنى ماكنت فاعلا؟

قال؛ قد كنت قدرت موضع خشبتك.

قال: اكان هذا جزائى؟

قال، ومن جازيناه بجزائه؟ وضعت سيفي فلم يبق برولا فاجر إلا قتلته (٦٤).

ومثل هذا كثير ومازال يسعى بجهده حتى ازال دولة بنى امية، واقيم عبيدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس الملقب بالسفاح فبعث عمه عبدالله بن على لقتال مروان بن محمد فقتله وبطش فى اهل الشام بطش الجبارين وسار من الجور سيرة لم يسرها احد قبله.

وذلك انه لما هزم مروان بالزاب وغلب على بلاد الشام وقتل أهل دمشق وهدم سيورها وسار إلى فلسطين نادى وهو على نهر ابن فطرس فى بنى أمية بالأمان فاجتمعوا إليه فعجلت الخراسانية إليهم بالعمد فقتلوهم.

وقتل عبدالله جماعة منهم ومن اشياعهم.

وامر بنبش قبر معاوية بن ابى سفيان فما وجد منه إلا خط ونبش قبر يزيد بن معاوية فوجد منه سلاميات رجله ووجد من عبدالملك بن مروان بعض شؤون راسه ولم يوجد من الوليد وسليمان ابنى عبدالملك إلا رفات ووجد هشام صحيحًا إلا شيئًا من انفه وشيئًا من صدغه فضرب عدة سياط وصلب ووجدت جمجمة مسلمة بن عبدالملك

⁽٦٤) انظر سيرة ابو مسلم الخرساني في كتب التاريخ. بداية من عام ١٢٩هـ وحتى مقتله عام ١٣٧هـ.

فاتخذت غرضًا حتى تناثرت.

ولم يعرض لعمر بن عبدالعزيز وجمع ماوجد في القبور واحرق.

وخطب عبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية بن ابى سفيان، زوج هشام بن عبدالملك بن مروان فأبت عليه التزويج فأمر بها فبقرت بطنها وجعلت حين اتى بها ليبقر بطنها وتقتل تنشد.

فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

فهذه سيرة عبدالله بن على، وولى السفاح ابن اخيه إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن على بن عبدالله سنة ثلاث وثلاثين ومائة الموصل فدخلها في اثنى عشر القا فأول ما بدا به ان دعا اهل الموصل فقتل منهم اثنى عشر رجلاً فنفر اهل البلد وحملوا السلاح فنادى من دخل الجامع فهو آمن فأتاه الناس يهرعون إليه فأقام الرجال على ابواب الجامع وقتل الناس فيه قتلا ذريعًا تجاوز فيه الحد واسرف في المقدار.

فيقال انه قتل احد عشر الف إنسان ممن له خاتم سوى من ليس فى يده خاتم وهم عدد كثير جدا بحيث لم ينج من رجال الموصل مع كثرتهم إلا نحو أربعمائة رجل صدموا الجند فأفرجوا لهم.

فلما كان الليل سمع صراخ النساء اللاتى قتل رجالهن فأمر من الغد يقتلهن، فأقام رجاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيان.

وكان في عسكره قائد معه اربعة آلاف عبد زنجي، فأخذوا النساء قهرًا.

فلما فرغ إبراهيم من قتل الناس في اليوم الثالث ركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة فأخذت امرأة بلجام دابته فأراد أصحابه قتلها فكفهم عنها، فقالت له، الست من بني هاشم، الست ابن عم رسول الله؟ أما تأنف للعربيات المسلمات أن ينكحهن الزنوج؟

فلم يجبها وبعث معها من بلغها مأمنها.

ثم جمع من الغد الزنوج للعطاء وقتلهم عن اخرهم، ثم امر بأن لا يترك في الموصل ديك إلا ذبح ولا كلب إلا عقر، فنفذ ذلك.

فكانت هذه الفعلة لم نسمع باقبح منها إلا ماكان من السفاح فإن زوجته ام سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخرومية قالت به، يا امير المؤمنين لأى شيء استعرض ابن اخيك اهل الموصل بالسيف؟

فقال لها وحياتك ما أدرى؟

ولم يكن عنده من انكار هذا الأمر الفظيع سوى هذا.

ولعمرى لقد فاق فرعون فى فساده واربى عليه فى عتوه وعناده، وأن السفاح بما فعله ابن أخيه قد صار يسوم أمة محمد (ص) من سوء العذاب أشد وأقبح ماكان فرعون يسوم بنى إسرائيل منه.

فكيف بها إذا ضمت مع ما حكاه البلاذري. قال: كان أبو العباس - يعنى السفاح -

يسمع الغناء فإذا قال للمغنى أحسنت لم ينصرف من عنده إلا بجائزة وكسوة.

فقيل له أن الخلافة جليلة فلو حجبت عنك من يشاهدك على النبيذ فاحتجب . paic

وكانت صلاته قائمة لهم(٦٥).

فأين هذا من الهدى النبوى وسير أئمة الهدى؟ فما أبعده عن هداهم، ولله در القائل:

نزلوا بمكة في قبائل نوفل ونزلت بالبيداء ابعد منزل

واما ابو جعفر عبدالله بن محمد المنصور فأنه تزيا بزى الاكاسرة وجعل ابناء فارس رجالات دولتهم كبنى برمك وبنى نوبخت واحدث تقبيل الأرض وتحجب عن الرعية وترفع عليهم بحيث أن عقال بن شبه قال له: أحمد الله فقد جزت مدى الخلفاء فغضب المنصور.

فقال؛ كبرت يا عقال وكبر كلامك، ففطن.

وقال؛ اجل لقد أحزن سهلى واضطرب عقلى وانكرني أهلى ولا أقوم هذا المقام بعد يومى فلم يعش المنصور بعد ذلك إلا شهرين وأيامًا.

⁽٦٥) أنساب الأشراف، وانظر كتب التاريخ.

وحتى أن الربيع حاجبه ضرب رجلاً شمت المنصور عند العطسة، فلما شكا ذلك إلى المنصور.

قال: اصاب الرجل السنة، واخطأ الأدب.

فأين قول ابى جعفر هذا من حديث النبوة الناطقة والإمامة الصادقة، ووالله ما الأدب كله إلا في السنة النبوية، فإنها هي الجامعة للأدب النبوي والأمر الألهي.

لكنه غلب على القوم الجبروت ودخلت النعرة في آنافهم وظهرت الخنزوانية بينهم فسموا عوائد العجم ادبًا وقدموها على السنة التي هي ثمرة النبوة فزادهم ذلك جفاء وقسوة حتى إن ابا جعفر كان ممن بايع محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابي طالب ليلة تشاور بنو هاشم فيمن يعقدون له الإمامة، وذلك حين اضطربت امور بني امية فلما اقيم ابو العباس عبدالله بن محمد السفاح في الخلافة وعهد بها عند وفاته لأخيه ابي جعفر عبدالله بن محمد المنصور وقام من بعده بالأمر اهمه امر محمد بن عبدالله واخيه إبراهيم والح على أبيهما عبدالله بن الحسن أن يحضرهما إليه لما حج.

وكان قد شردهما خوف جوره ثم حبس عبدالله وعدة من بنى الحسن ومعهم الديباج بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو اخوهم الأمهم فاطمة بنت ابى عبدالله الحسين بن على بن ابى طالب.

وجعل القيود والاغلال في ارجلهم وأعناقهم واركبهم محامل بغير وطاء وسار بهم

كذلك من المدينة النبوية وطنهم ووطن آبائهم حتى قدموا عليه وهو بالربذة فأمر بالديباج فشقت عنه ثيابه وضرب خمسين ومائة سوط فأصاب سوط منها وجهه.

فقال، ويحك اكفف عن وجهى فإن له حرمة برسول الله (ص).

فقال المنصور للجلاد، الرأس الرأس فضرب على رأسه نحوا من ثلاثين سوطا. فأصابا إحدى عينيه سوط منها فسالت على خده ثم قتله.

ومضى ببنى حسن إلى الكوفة فسجنهم بقصر بن هبيرة واحضر محمد بن إبراهيم بن حسن واقامه، ثم بنى عليه اسطوانة وهو حى وتركه حتى مات جوعًا وعطشًا. ثم قتل أكثر من معه من بنى حسن.

وكان إبراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب فيمن حمل مصفدًا بالحديد من المدينة إلى الأنبار، وكان يقول لأخوته عبدالله والحسن، اعوذ بالله من مناطيهن منايا تمنينا ذهاب سلطان بنى امية واستبشرنا بسلطان بنى العباس ولم يكن قد انتهت بنا الحال إلى ما نحن عليه.

وقد قتل أبو جعفر أيضًا إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر ومحمد بن إبراهيم، قيل دفنه حيًا.

وكان لأبى القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ضيعة بالمدينة يقال لها الراس فلم يسمح له ابو جعفر بالمقام بها حتى طلبه، ففر إلى السند وقال:

لم يروه ما اراق البغى من دمنا فى كل ارض فلم يقصر من الطلب وليس يشفى غليلا فى حشاء سوى ان لا يرى فوقها ابن لبنت نبى

وكتب صاحب السند إلى ابى جعفر انه وجد فى خان بالمولتان (٦٦) مكتوبًا يقول، القاسم بن إبراهيم طباطبا العلوى انتهيت إلى هذا الموضع بعد أن انتعلت الدم من المشى، وقد قلت،

عسى منهل يصفو فتروى ظمئة اطال صداها المشرب المتكدر عسى جابر العظم الكسير بلطفه سيرتاح للعظم الكسير فيجبر عسى صور امسى لها الجور حاقنا سيبعثها عدل بحى فتظهر عسى الله لا تياس عن الله انه اله يستر منه ما يعز ويعسر

فكتب إليه، قد فهمت كتابك وانا وعلى واهله كما قيل،

نحاول اذلال العزيز لأنه بدانا بظلم واستمربت مرائره

واستحلف ريطة امراة ابنه محمد المهدى ان لا تفتح بيتا عرضه عليها إلا مع المهدى بعد وفاته، ففتحته مع المهدى فإذا فيه من قتل من الطالبين وفى آذانهم رقاع فيها انسابهم، وفيهم اطفال فأمر المهدى فحفرت لهم حفرة ودفنوا فيها.

 واين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من النبوة؟

وتالله ما هذا من الدين في شيء بل هو من باب قول الله سبحانه «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَولَيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٣ أُولَفِكَ اللهِ يَن لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَهُمْ وأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ « [محمد : ٢٢].

وكان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من أعظم الدعاة قدرًا أو أعظمهم غناءًا وهو الذي أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذي أخفاه فيه أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وحرسه، وقام بأمره حتى بويع بالخلافة فكان أبو العباس يعرف له ذلك وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه، فلما استخلف أبو جعفر المنصور وجار في أحكامه.

قال أبو الجهم ما على هذا بايعناهم إنما بايعناهم على العدل.

فأسرها أبو جعفر فى نفسه، ودعاه ذات يوم فتغدى عنده، ثم سقاه شربة من سويق لوز، فلما وقعت فى جوفه هاج به وجع فتوهم أنه قد سم، فوثب.

فقال له المنصور؛ إلى اين يا ابا جهم؟

فقال: إلى حيث ارسلتني؟

ومات بعد يوم أو يومين فقال،

أحذر سويق اللوز لا تشربنه فشرب سويق اللوز اردى ابا الجهم

واما غدره بأبى مسلم فغير خاف على رواة الأخبار، وكان اشد ما يحقده عليه كتابه إليه، (اما بعد فإنى اتخذت أخاك إمامًا وكان في قرابته برسول الله (ص) ومحله

من العلم على ماكان، ثم استخف بالقرآن وحرفه طمعًا فى قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله ومثلت له ضلالته على صورة العدل، فأمرنى ان اجرد السيف وآخذ بالظنة ولا اقبل معذرة، وان اسقم البرىء، وابرىء السقيم، واتر اهل الدين فى دينهم واوطأنى فى غيركم من اهل بيتكم العشوة بالافك والعدوان، ثم أن الله بحمده ونعمته استنقذنى بالتوبة وكره إلى الحوبة، فإن يعف فقديمًا عرف ذلك منه، وأن يعاقب فبذنوبى وما الله بظلام للعبيد).

فكتب إليه ابو جعفر، قد فهمت كتابك وللمدل على اهل بيته بطاعته ونصرته ومحاماته وجميع بلائه مقال، ولم يرك الله في طاعتنا إلا ما تحب فراجع احسن نيتك وعملك ولا يدعونك ما انكرته إلى التجنى فإن المغيظ ربما تعدى في القول فاخبر بما لا يعلم، والله ولى توفيقك وتسديدك فاقدم رحمك الله مبسوط اليد في امرناو محكمنا فيما هويت الحكم فيه ولا تشمت الأعداء بك وبنا إن شاء الله).

فقدم عليه وقتله^(٦٢).

فانظر اعزك الله إلى كتاب ابى مسلم يفصح لك عنه سيرة القوم ولن تجد اخبر بهم منه، ثم انظر إلى كتاب ابى جعفر جوابًا له، كيف لم ينكر عليه ما رماهم به ولا كذبه فى دعواه ذلك يحقق عندك صدقه ولا يوحشنك هذا من أخبارهم بل ضمه إلى وصية إبراهيم الإمام تجدهما قد خرجا من آل واحد.

وكان عبدالله بن دادبه وهو المقفع فد كتب لعبدالله بن على امانا حين اجاب ابو جعفر إلى امانة فكان فيه فإن عبدالله بن عبدالله امير المؤمنين لم يض بما جعل

⁽٦٧) انظر قصة مصرع ابو مسلم الخراساني في كتب التاريخ أحداث عام ١٣٧هـ.

لعبدالله بن على فقد خلع نفسه والناس فى حل وسعة من نقض بيعته، فانكر ابو جعفر ذلك واكبره واشتد له غيظه على ابن المقفع، وكتب إلى ابى سفيان بن معاوية عامله على البصرة اكفنى ابن المقفع.

ويقال انه شافهه بذلك عند توديعه إياه فجاءه ابن المقفع يومًا فادخله حجرة، ثم سجر له تنورًا فألقاه فيه وهو يصيح يا أعوان الظلمة وقيل انه القى فى بئر واطبق عليه حجر وقيل ادخل حمامًا فلم يزل فيه حتى مات، وقيل دقت عنقه وقطع عضوًا عضوًا، والقيت أعضاؤه فى النار وهو يراه، ويصيح صياحًا شديدًا.

وقيل القي في بئر النورة في الحمام واطبق عليه صخرة فمات(٦٨).

وشكا بنو على بن عبدالله ماصنع سفيان بابن المقفع إلى ابى جعفر المنصور، فأمر بحمل سفيان إليه، فلما جىء به وجاء عيسى بن على وغيره ليشهدوا عليه ان ابن المقفع دخل داره فلم يخرج وصرفت دوابه وغلمانه يصرخون وينعونه.

وجاء عيسى بتاجرين يثبتون الشهادة على قتله.

فقال لهم المنصور؛ أرايتكم إن اخرجت ابن المقفع إليكم ماذا تقولون؟ فانكسروا عن الشهادة وكف عيسى عن الطلب بدم ابن المقفع.

وكان سديف بن ميمون مولى آل ابى لهب مائلاً إلى ابى جعفر، فلما استخلف وصله بالف دينار، ثم انه اتصل بمحمد وإبراهيم ابنى عبدالله بن حسن حتى قتلا، فاختفى حتى امنه عبدالصمد بن على والى المدينة، فلما قدمها ابو جعفر جد في طلبه

⁽٦٨) انظر ترجمة عبدالمقفع صاحب كليلة ودمنة في وفيات الأعيان، ج ١٥١/٢ هامش ترجمة الحلاج وانظر الكلمة والسيف للمعلق.

حتى ظفر به، فجعله في جوالق وضرب حتى كسر، ثم رمى في بئر وبه رمق حتى مات.

فهذا وأمثاله من سيرته خلاف سنن الهدى

وكان الفضل بن الربيع يمنع عائد الخليفة ان يسأل عن شيء يقتضى جوابًا ويقول اجعلوا عيادتكم دعاء فإذا اردت ان تقول كيف أصبح الأمير، فقل صبح الله الأمير بالكرامة.

وإن اردت السؤال عن حاله، فقل انزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، فإن المسألة توجب الجواب.

وإن لم يجبك اشتد عليك، وإن اجابك اشتد عليه.

وكانت الخلفاء إذا عطست شمتت، فعطس هارون الرشيد فشمته رجل، فقال له الفضل، لا تعد اتكلف أمير المؤمنين ردًا وجوابًا، فجروا على ذلك فيما بعد.

وهذا المأمون عبدالله بن هارون الرشيد قد اثر في الإسلام اقبح اثر وهو أنه عرب كتب الفلسفة حتى كاد بها أهل الزيغ والالحاد الإسلام وأهله وحمل مع ذلك الناس كافة على القول بخلق القرآن وامتحنهم فيه أشد محنة وأكثر من شراء الأتراك وتغالى في أثمانهم حتى كان يشترى المملوك منهم بمائتي ألف درهم (٦٩).

⁽٦٩) انظر سيرة المامون وفتنة خلق القرآن التي راح ضحيتها الحنابلة في تاريخ الخلفاء للسيوطي وكتب التاريخ.

واقتدى به أخوه أبو إسحاق المعتصم فاشتد على الناس في امتحانهم بالقول بخلق القرآن وانتهك أعراضهم وبرح بالضرب الشديد أبشارهم.

واخرج العرب قوم رسول الله (ص) الذين اقام الله بهم دين الإسلام من الديوان واسقط عطاءهم، فسقط ولم يفرض لهم بعده عطاء.

واقام بدلهم الأتراك، وخلع لباس العرب وزيهم، ولبس التاج وتزيا بزى العجم الذين بعث الله نبيه محمد بقتلهم وقتالهم فزالت به وعلى يديه الدولة العربية وتحكم منذ عهده وأيام دولته الأتراك الذين انذر الله بقتالهم فغلبوا من بعده على الممالك.

وسلطهم الله على ابنه جعفر المتوكل فقتلوه، ثم قتلوا ابن ابنه احمد المستعين وتلاعبوا بدين الله وتغلبوا على الأطراف كلها (٧٠).

وفعل المتوكل جعفر بن المعتصم في خلافته من الانهماك في الترف المنهى عنه ما يقبح مثله من آحاد الرعية.

وجهر بالسوء من القول في أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى قتله بيد أعوانه وأنصار دولته.

فقام من بعده ابنه محمد المنتصر فأتى بطامة لم يسمع فى الجور نظيرها وهو انه كتب إلى الأفاق بأن لا يقبّل علوى ضيعة ولا يركب فرسنا إلى طرفة من الأطراف وان يمنعوا من اتخاذ العبيد، إلا العبد الواحد ومن كان بينه وبين احد من الطالبين خصومة

⁽٧٠) انظر تاريخ الخلفاء.

من سائر الناس قبل قول خصمه فيه، ولم يطلب بينة وقرىء هذا الكتاب على منبر مصر.

فبالله هل سمع فى اخبار الجائرين أهل العناد والشقاق بمثل ما أمر به هذا الجائر، لا جرم أن الله أخذه ولم يمهله فكانت دولته سنة أشهر (٧١).

وما زالت امور الإسلام تتلاشى والدولة تضعف، إلى أن انتقل الملك والدولة فى آخر أيام المتقى إبراهيم بن جعفر المقتدر، وأول أيام خلافة المستكفى عبدالله بن المكتفى من بنى العباس إلى بنى بويه الديلمى (٧٢).

فلم يبق بيد بنى العباس من الخلافة إلا اسمها فقط من غير تصرف فى ملك بحيث صار الخليفة منهم فى مدة الدولة البويهية، ثم فى الدولة السلجوقية إنما هو كأنه رئيس الإسلام، لا أنه ملك ولا حاكم تتحكم فيه الديلم ثم السلجوقية كتحكم المالك فى مملوكه كما هو معروف فى كتب التاريخ.

وما زالت ضعفة بنى العباس مع الديلم ومع الاتراك منذ استولى معز الدولة احمد بن بويه ببغداد فى جمادى الأولى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة تحت الحكم إلى أن قتلوا عن آخرهم وسبى حريمهم وهدمت قصورهم وهلكت رعاياهم على يد عدو الله هولاكو وكانوا هم السبب فى ذلك كما قد ذكر فى سيرة الناصر احمد بن المستضىء.

⁽٧١) انظر المرجع السابق وكتب التاريخ.

⁽٧٢) من هذه الفترة قامت دولة البويهيين الشيعة وأصبح الخليفة العباس يأتمر بأمرهم. انظر تاريخ الخلفاء وتاريخ دول الإسلام للذهبي وأخبار البويهيين في كتب التاريخ.

وقد ثبت في الصحيح في حديث معاوية انه سمع رسول الله (ص) يقول: إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم احد إلا اكبه الله على وجهه، ما اقاموا الدين (٧٢).

وروى وكيع عن كامل أبى العلاء عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيدالله بن عبدالله عتبة قال، قام رسول الله (ص) فقال، يامعشر قريش إن هذا الأمر لا يزال فيكم حتى تحدثوا أعمالا تخركم منه، فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه، فالتحوكم كما يلتحى القضيب وهو حديث مرسل وعبيد الله هذا هو ابن عبدالله بن عتبة بن مسعود وابو عبدالله الهذلى المدنى الأعمى، أحد الفقهاء السبعة، مات سنة تسع وتسعين.

﴿ فصل في اتفاق الخلافة الإسلامية مع الملة الموسوية ﴾

وقد اتفق فى الخلافة الإسلامية كما اتفق فى الملة الموسوية حذو القذة بالقذة، وذلك أن العرب كلها ترجع إلى قحطان وعدنان، فيقال لسائر قحطان اليمن، ويقال لسائر بنى عدنان المضرية والنزارية، وهى قيس. والعرب كلها على ست طبقات شعوب وقبائل وعمائر وبطون وافخاذ وفصائل وما بينهما من الآباء يعرفها اهلها.

قال الله جلت قدرته «يا أيها الناس إنا خَلَقْناكُم مِن ذَكَر وأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا « [الحجرات: ١٣] فالشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو اكبر من القبيلة، وقيل الشعب هو الحى العظيم، مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا بذلك لتعبهم واجتماعهم كتشعب اغصان الشجر.

وقيل الشعب القبيلة نفسها، وقد غلبت الشعوب بلفظ بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قبل لحتقر امر العرب شعوبي والقبائل جمع قبيلة.

⁽٧٣) انظر مسلم كتاب الإمارة والبخاري كتاب الأحكام.

والقبيلة من الناس بنو أب واحد وهى دون الشعب كبكر من ربيعة، وتميم من مضر.

وقيل القبيلة الجماعة التي تكون من واحد ويقال لكل جمع على شيء واحد قبيل.

قال تعالى: «إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ « [الأعراف: ٢٧].

واشتقت القبيلة من قبائل الشجر وهى اغصانها، وقيل اخذت من قبائل الراس وهى اطباقها الأربع لأن العمائر تقابلت عليها والعمائر واحدها عمارة وهى اصغر من القبيلة، وقيل العمارة هى الحى العظيم الذى يقوم بنفسه.

والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون والبطون والبطون والبطون والبطون واحدها بطن وهو دون القبيلة، وقيل دون الفخذ وفوق العمارة فالبطن يجمع الافخاذ، وفخذ الرجل حيه من أقرب عشيرته إليه، ثم الفخذ يجمع الفصائل، وفصيلة الرجل عشيرته ورهطه الادنون، وقيل الفصيلة أقرب آباء الرجل إليه، فكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصى بطن وهاشم فخذ، وبنو العباس فصيلة.

وكما أن الله جعل العرب شعوبًا وقبائل فقد جعل بنى اسرائيل أسباطا، فالسبط من بنى اسرائيل كالقبيلة من العرب وبنو العرب وبنو اسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهم إثنا عشرة سبطا، وهم يوسف النبى، وبنيامين، وكاد، ويهوذا، ونفتالى، وزبولون، وشمعون، وروبين، ويساخار، ولاوى، وذان، وياشر، فكل ولد من هؤلاء الأثنى عشر يقال له سبط، ومنهم كلهم سائر بنى إسرائيل.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن موسى صلوات الله عليه هو موسى بن عمران

ابن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فهو من سبط لاوى، فلما مات لم يخلف في إسرائيل احد من سبط لاوى الذين هم قرابته القريبة وإنما خلفه يوشع وهو سبط افرائم بن يوسف وهو بعيد من سبط لاوى وذلك انه يوشع بن نون بن اليشماع بن عميهود بن لعدان بن تالح بن راشف بن بريعا بن افرائم بن يوسف النبى بن يعقوب عليهما السلام.

وهكذا وقع فى الإسلام، فإن رسول الله (ص) سيد بنى هاشم هو محمد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بلا خلاف فى ذلك، ولما توفى رسول الله (ص) لم يخلفه فى امته احد من بنى هاشم الذين هم اقرب العرب إليه.

بل خلفه (ص) ابو بكر وهو من بنى تيم بن مرة بن كعب، فإنه ابو بكر عبدالله بن ابى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

فانظر كيف كان أبو بكر خليفة رسول الله (ص) فى البعد من جدم رسول الله (ص) كبعد يوشع من أصل موسى عليه السلام فإن أبا بكر إنما يلتقى مع رسول الله (ص) فى مرة بن كعب بن لؤى بعد عدة آباء، وكذلك يوشع إنما يلتقى مع موسى فى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام بعد عدة أيام.

وكما انه قام بأمر بنى إسرائيل بعد يوشع خليفة موسى جماعة مختلفوا الأنساب بعضهم من سبط يهودا وبعضهم من سبط يساخار، وبعضهم من سبط بنيامين، وبعضهم من سبط منشا بن يوسف وبعضهم من سبط غاث وبعضهم من سبط ذان.

كذلك قام بالخلافة بعد ابى بكر جماعة مختلفة انسابهم.

بعضهم من بنى عدى وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رباح بن عبدالله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب.

وبعضهم من بنى أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص.

وبعضهم من بنى هاشم وهما على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى وابنه الحسن بن على بن ابى طالب.

وبعضهم من بنى امية بن عبد شمس وهم معاوية بن ابى سفيان بن حرب بن امية وابنه يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية بن ابى سفيان.

وبعضهم من بنى اسد بن عدى بن عبد العزى بن قصى بن كلاب وهو عبدالله بن الزيير بن العوام بن اسد بن عبدالعزى.

وبعضهم من بنى الحكم ابن ابى العاص بن امية بن عبد شمس وهم مروان بن الحكم وابنه عبدالملك بن مروان وبنوه.

وكما أن بنى إسرائيل استقر أمرهم بعد من ذكرنا فى يهوذا كذلك استقرت الخلافة بعد من ذكرنا فى بنى العباس.

وكما أن يهوذا عم موسى عليه السلام، كذلك العباس بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله (ص).

وكما أن يهوذا قدمه يعقوب على أخوته وبشره ومدحه، كذلك العباس رضى الله عنه كان رسول الله (ص) يجله ويكرمه ويثنى عليه.

وكما أن أمر بنى إسرائيل افترق فى دولة بنى يهوذا وصار بعد موت سليمان بن داود عليهما السلام فرقتين، فرقة بالقدس مع ابنه رحبعم بن سليمان وهم يهوذا وسبط بنيامين.

وفرقة بشمرون مع يربعام بن نباط وهم بقية الأسباط.

كذلك لما صارت الخلافة في بنى العباس افترق أمر الأمة فصار في الانبار، ثم في بغداد بنو العباس وفي الأندلس عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم وبنوه من بعده.

فلم تدخل الأندلس تحت طاعة بنى العباس، كما لم تدخل شمرون تحت حكم سبط يهوذا.

وكما أن مدينة القدس التي هي دار ملك بني يهوذا كانت تدعى أورشليم ومعناه دار السلام، كذلك بغداد دار ملك بني العباس كان يقال لها دار السلام.

وكما أن دولة يريعام من بعده بشمرون التى عرفت بنابلس إنقرضت قبل دولة بنى يهوذا بالقدس فإنهالم تقم غير مائتين واحدى وستين سنة، فكذلك دولة بنى أمية بالأندلس فأنها انقرضت قبل انقراض دولة بنى العباس فكانت مدتهم مائتين وسبع وستين سنة.

وكما أن دولة بنى يهوذا بالقدس اقامت من عهد داود عليه السلام وهو أول من ملك منهم إلى أن انقرضت نحوا من خمسمائة سنة فإنها اقامت أربع مائة وعشر سنين كذلك بنو العباس اقامت خلافتهم منذ أبى العباس عبدالله السفاح أول قائم منهم إلى أن اتقرضت أيامهم خمسمائة وأربعا وعشرين سنة.

وكما أن دولة بنى يهوذا انقرضت على يد بخت نصر فإنه سار إليهم من بلاد المشرق وقاتلهم وهدم القدس دار ملكهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم، فكذلك زالت دولة بنى العباس على يد هولاكو لما قدم إلى بغداد من بلاد المشرق فقتل الرجال وسبى النساء.

وكما ان امر بنى إسرائيل لم يجتمع بعد زوال دولتهم لواحد يقوم بدينهم كذلك امة محمد (ص) لم تجتمع بعد انقراض خلافة بنى العباس لواحد بل صار فى كل قطر ملك وكما عاد لبنى إسرائيل بعد إزالة بخت نصر دولتهم ملك كانوا فيه تحت يد اليونان وغيرهم مدة عمارة بيت المقدس بعد عودتهم من الجالية.

كذلك اقام الأتراك ملوك مصر رجلاً من بنى العباس جعلوه خليفة وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة (٧٤).

وكما أن بنى إسرائيل قوم موسى عليه السلام قطعهم الله فى الأرض أممًا كذلك قريش قوم رسول الله (ص) تفرقوا فى اقطار الأرض وصاروا رعية ورعايا ليس لهم ملك ولا دولة.

⁽٧٤) المقصود بملوك مصر هنا حكام المماليك الذين استعانوا بابناء العباسيين الفارين من وجه التتر كواجهة شرعية لهم ونصبوهم خلفاء بلا سلطة وكانوا احيانا يقتلونهم. انظر سيرة هؤلاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي.

وكما أن أنساب بنى إسرائيل جهلت بأسرها إلا بعض بنى يهوذا فإن نسبهم يتصل بداود عليه السلام، كذلك قريش جهلت فى هذه الأيام أنساب جميع بطونها إلا ماكان من بنى حسن وحسين فأن أنساب كثير منهم متصلة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

فانظر اعزك الله كيف تشابه امر هذه الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسوية، وقد انذر بذلك رسول الله (ص)، وكان هذا من اعلام نبوته كما بينته في كتاب «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع (ص).

ثبت في غير موضع من البخاري ومسلم وغيرهما من حديث زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعت موهم) قلنا: يا رسول الله اليهود والنصاري؟ قال فمن؟ هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، الحديث بمثله.

وفى لفظ له؛ لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ ولبقى ابن مخلد من حديث ابى سلمة عن ابى هريرة ان النبى (ص) قال لتتبعن سنن من كان قبلكم باعًا بباع وذراعًا بذراع وشبرا بشبر حتى لو دخلوا فى جحر ضب لدخلتم معهم، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن، والله اعلم.

﴿تم وكمل بحمد الله وبعونه وصلى الله على سيدنا محمد ﴿ وَالله وسلم تسليمًا كثيرًا آمين ﴾

ملحق فصل الحاكم في النزاع والتخاصم فصل الحاكم بن عقيل العلوي لحمد بن عقيل العلوي ١٣٥٠/هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وآله ومن تبعهم بإحسان.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلاته وسلامه على سيدنا ومولانا محمد وآله الهداة، ومن اتبعه ووالاه، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله مشتبها علينا فنتبع الهوي.

اما بعد فقد قرات كتاب (النزاع والتخاصم فيما بين بنى امية وبنى هاشم) للحافظ العلامة احمد بن على بن عبدالقادر المقريزى رحمه الله، فرايته جمع فيه فوائد عديدة حسنة، وادخل معها قليلا من الوهم والغلط، فاستخرت الله عز وجل، واستعنت به، وتوكلت عليه، واستخلصت منه زبدة صالحة ممزوجة بزيادات صحيحة زدتها، ولم اتقيد بالفاظ المصنف فيما استخلصه من كتابه، وقد اتممت البحث بتبيين الصواب، وكشف النقاب عن الوهم والغلط، الذي راج على المصنف رحمه الله تعالى.

واسال الله الكريم أن يجعل صنيعى خالصًا لوجهه، وأن ينفعنى به، وينفع به صالحى عباده إنه الجواد الرحيم.

وقد سميته (فصل الحاكم في النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم).

ذكر المصنف رحمه الله بعد ديباجة كتابه انه يكثر تعجبه من تطاول بنى امية إلى المخلافة مع بعدهم من جذم رسول الله (ص) فاين بنو امية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص) ولعينه من التحدث بالخلافة سيما مع ما كانوا عليه، فإن العداوة

والمباينة الشديدة بين بنى أمية وبنى هاشم كانت فى الجاهلية، ثابتة، ثم ازدادت شدة ورسوخا فى الإسلام لمبالغة بنى أمية فى عداوة النبى (ص) وعداوة المسلمين، وأذيتهم، وجدهم واجتهادهم فى استئصال شأفتهم، واستمرارهم على ذلك إلى أن قهروا والجئوا إلى الإسلام كرها يوم الفتح.

ولم يزل فيهم بعد ذلك من يضمر العداوة للإسلام وأهله، ويعرف بذلك، فلعمرى لا بعد أبعد مما بين بنى أمية، والخلافة، إذ لا سبب ولا نسب لهم يمتون به إليها ما سوى القرشية التى يستوى معهم فيها قريش الظواهر.

فذو القرابة القريبة غيرهم، والوصية إلى سواهم، والناصرون للإسلام ولنبيه اعداؤهم، والسابقون إليه مقاتلوهم.

فليسوا فى قليل ولا كثير ما يدلى به إلى الخلافة من دين او علم به، او نصر له، او قرابة قريبة غير مجذوذة إلى صاحبه، او وراثة، وكل هذا مجمع عليه، ولا نزاع فيه بين المسلمين.

وحيث قد بعد القوم كل البعد عن كل مؤهل للخلافة، فليتهم سلموا مما يبعدهم اشد البعد عنها، ولكنه قد اجتمع فيهم من ذلك ما يعسر عده.

فعداوة كبيرهم أبى سفيان بن حرب لرسول الله (ص) ومحاربته له وإجلابه عليه، وغزوه إياه اشهر من أن ينكر، ولقد أسلم بعد ذلك كرها، فسلم ولم يكن خلاصه إلا بشفاعة العباس بن عبد المطلب، وقد طلب له حينتذ ما طلب.

فكانت المكافأة عن تلك اليد البيضاء محاربة على، وتسميم الحسن ابنه، وقتل

الحسين ومن معه من اولاد على، وقرابات النبى (ص) وحمل نسائهم وذراريهم حواسر على الأقتاب، والكشف عن سوأة على بن الحسين لما اشكل عليهم بلوغه، كما يصنع بأبناء المشركين، وقتل بسرين ارطأة وزير معاوية وأميره ابنى عبيد الله بن العباس طفلين صغيرين، فتدلهت امهما، ورثتهما بشعرها السائر.

وقتلهم اولاد عقيل بن ابى طالب مع زعمهم انه كان قد اعانهم على حرب اخيه، فإن صدقوا فقد جزوه بما هم اهله، وإن كذبوا فما احراهم بالبهتان.

ومن عرف بنى امية لا يعجب مما صنعوا لأن مثلهم لا يكون منه إلا ما كان منهم، ولكن العجب كل العجب من صنيع الأمة معهم مع معرفتهم احوالهم وتراجم رجالهم.

فمنهم ابو احیحیة سعیدبن العاص بن امیة مات مشرکا کان من اشد الناس عداوة وبغضا لرسول الله (ص)، ومنهم عقبة بن ابی معیط کان فاجرا فاحشا، خبیثا، وجد رسول الله (ص) ساجدا لله تعالی فوطا عنقه الشریف وطا شدیدا، ووجده مرة اخری فوضع علیه سلا جزور او شاة، وقد اسر ببدر، فامر النبی (ص) علیا فقتله، فقال للنبی (ص)، یا محمد من للصبیة؟

قال؛ النار.

ومنهم الحكم بن ابى العاص لعين رسول الله (ص) وطريده كان مؤذيا لرسول الله وعاراً فى الإسلام، لم يحسن إسلامه بل كان يتطلع اخبار النبى (ص) بالمدينة، ثم يخبر بها الكفار، ومشى مرة خلف النبى (ص) وهو يتخلج بأنفه وفمه، ويتفكك ويتمايل كأنه يحاكى النبى، فالتفت إليه النبى (ص) فرآه فقال له، كن كذلك، فمازال بقية عمره على ذلك.

وطرده النبى (ص) من المدينة، ولعنه وما ولد، وقال؛ ويل لأمتى مما في صلب هذا، وله أخبار سيئة كثيرة.

وقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يخاطب ابنه:

إن اللعيين ابياك فيارم عظاميه إن تيرم تيرم مخلجيا مجنوثا يضحى خميص البطن من عمل التقى ويظيل من عميل الخبيث بطينا

ومن اعداء النبى (ص) عتبة بن ربيعة عدوّ الله ورسوله، وهو جد معاوية، وقتله حمزة كافرًا ببدر، فلما قتل حمزة بأحد لاكت هند بنت عتبة كبده، واتخذت لها حليًا من آرابه، وأعطت حليها قاتله وحشيًا، وقد استثناها النبى (ص) من الأمان العام يوم فتح مكة، وأمر بقتلها في من أمر بقتله، فأسلمت، وهي أم معاوية مبدل أحكام الإسلام، وهادم أركانه.

ومنهم الوليد بن عتبة قتله على ببدر كافرًا، وهو خال معاوية.

ومنهم شيبة بن ربيعة، وكان ممن يكيد لرسول الله (ص) ويؤذيه، وقتل ببدر كافرًا.

ومنهم أبو سفيان والد معاوية حامل راية عداوة الله ورسوله، وقائد الأحزاب،

واحد اكبر أئمة الكفر، واشدهم عداوة لله ولرسوله، وللمسلمين، واكثرهم اجتهادًا في محاربته، وكيده، واحرصهم على استئصالشافة الإسلام، ومحوه، وكان زندقيًا في الجاهلية، ثم اسلم كرها إسلامًا مدخولا، وخرج مع رسول الله (ص) في غزوة حنين، ومعه الأزلام يستقسم بها، وسر بهزيمة المسلمين، ثم كان كهفا للمنافقين، روى الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمان حين ولى الخلافة فقال؛ ادرها كالكرة، واجعل اوتادها بني امية، فإنما هو الملك، ولا ادرى ما جنة ولا نار.

ومنهم معاوية بن المغيرة، وهو ممن مثل بحمزة بعد قتله، وقتله على وعمّار كافرًا بأمر من النبي (ص).

ومنهم حمالة الحطب عمة معاوية كانت تسب النبى (ص) وتؤذيه، وتضع الشوك في طريقه، وهلكت كافرة.

فجميع هؤلاء ككثير غيرهم من قرياتهم بذلوا جهدهم في عداوة الله ورسوله، وفي أذيته، وأذية المسلمين حتى الجأوهم إلى الهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة فرارًا من الاضطهاد والظلم والتعذيب، فاستولى الظالمون على رباع ومخلفات المهاجرين وباعوها، وهموا بقتل النبي (ص) غير مرة فحفظه الله من مكرهم، وبالغ كل منهم، وبذل كل جهده بنفسه وبماله وعشيرته في كيده، ولما هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة ونجاه الله من شرهم جعلوا لمن يقتله مائة بعير نادوا بذلك في اعلى مكة واسفلها حسدًا للنبي (ص)، وحقدًا عليه.

ففى هذه الطغمة كهف النفاق، والوزغ وابن الوزغ، وناقر ثنايا الحسين بالقضيب، وصبية النار، وآكلة الأكباد، وحمالة الحطب.

ومن مآثرهم من بعد الإشادة بلعن صنو النبى وسيد المسلمين، وقتل فضلاء المهاجرين والأنصار والبدريين، واصحاب الشجرة، ثم قتل الحسين بن النبى وريحانته، ووطء صدره وظهره الشريفين، بسنابك الخيل، وقتل زيد بن على، ثم نبشهم له من قبره، وصلبه بعد أن القوا رأسه الكريم في عرصة الدار تطأه الأقدام، وتنقر دماغه الدجاج فقال الشاعر؛

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد طالما كان لاتطأه الدجاج

وقال شاعرهم مفتخرا بفجورهم:

صلبنا لكم زيدًا على جذع نخلة ولم نر مهديًا على الجذع يصلب

ثم قتلوا ابنه يحيى بن زيد، وسموا قاتله ثائر مروان، وناصر الدين، وضربوا على ابن عبدالله بن العباس بالسياط مرتين، وسمموا ابا هاشم بن محمد بن على، وقتلوا إبراهيم الإمام، ادخلوا راسه في جراب نورة إلى ان مات، وبالحرة قتلوا عون بن عبدالله ابن جعفر.

وقد كان اعرق الناس فى الكفر وفى عداوة النبى (ص) عبدالملك بن مروان بن الحكم، ومن الغريب انه لم يمنعه ذلك عن أن يكون خليفة، ووالد خلفائهم أيضًا، ومثل عبدالملك بعض قومه يعرف ذلك من عرفهم، فإن جد عبدالملك لأبيه الحكم بن أبى

العاص، وقد مر ذكره، وجده لأمه معاوية وبن المغيرة، ومر ذكره، وابوه مروان فضض من لعنة الله، وهو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون، هو وولده إلا الصالحين، وقليل ما هم كما صح بذلك الحديث، وهو من بنى امية الشجرة الملعونة في القرآن، وهل يكون امير المؤمنين إلا اولاهم بالإيمان، واقدمهم فيه.

وقد حدا الحادي بهشام بن عبدالملك، وهو رجلهم فقال:

إن عليك ايها البختى اكرم من تمشى به المطى

فقال: صدق قولك.

وقال مرة؛ والله لأشكون سليمان بن عبدالملك يوم القيامة إلى امير المؤمنين عبدالملك بن مروان، وكفى بهذا جهلا.

وولّى ابنه سعيدا حمصا فبلغه زناه بنساء الناس، فقال به، يابن الخبيثة تزنى وانت ابن امير المؤمنين افجر فجور قريش، اقتل هذا وخذ مال هذا.

وبنو امية لهم اكبر سابقة من التهتك والفسوق، والوقاحة، فقد نافر امية هاشمًا فنفره هاشم، فخرج امية إلى الشام، واقام بها عشر سنين، وكان مضعوفا وصاحب عهار، ونافر حرب بن امية عبدالمطلب إلى نفيل بن عبدالعزى، فتعجب نفس من إقدام حرب على المنافرة، وقال له،

ابوك معاهر وابوه عف وذاد الفيل عن بلد حرام

وقد صنع امية شيئا لم يصنعه احد من اهل الجاهلية، فقد نزل لابنه ابى عمرو فى حياته عن زوجته، وزوجه بها فبنى بها أبو عمرو أمام أبيه، وكان المقيتون فى الجاهلية الذين يتزوجون نساء آبائهم بعد موتهم، أما من يتزوج زوجة أبيه وهو حى على مراى منه، فهذا لم يكن قط من غير أمية، ولله القائل،

عبد شمس قد اضمرت لبنى ها
شم حربًا يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن هند
لعلي وللحسين يزيد

ولاشك أن الأمركما قال الشاعر؛

إن العداوة تلقاها وإن قدمت كالعريسكن احياثا وينتشر

إن رسول الله (ص) قد ابعد بنى امية عنه، واخرجهم من قرابته، واختص بها بنى هاشم، وبنى المطلب صح بذلك الحديث من طرق، فلم يجعل (ص) القرابة النسبية وحدها قرابة معتبرة فى احكام دين الله تعالى مالم تقترن بها القرابة الدينية، فلم ينفعهم كونهم من بنى عبد مناف لعداوتهم فى الدين، وخدلانهم وعنادهم بخلاف إخوانهم بنى عبدالمطلب بن عبد مناف، لمسالمتهم له فى الجاهلية، وإسراعهم فى نصره وموالاته، فلقد وقوه بأنفسهم، حين تخلى عنه الناس اجمعون، ودخلوا معه الشعب واحتملوا مضض الخصار والخوف والجوع الشديد مؤمنهم وكافرهم، ما خلا ابو لهب

لعنه الله وأبعده، وقد كان السابقون من المسلمين من غير أهل البيت إذ ذاك في أمن وخصب وراحة ولله القائل؛

وارى القرابة لا تقرب قاطعًا وارى المسباب وارى المسباب

فمن اغرب الغرائب اضطهاد الأمة وقهرها وقتلها من نصر نبيها (ص)، ونصح له ووقاه بروحه، وبذل في حبه كامل جده واجتهاده، واوصى النبي (ص) الأمة به، وحرضها على حفظه، وتكريمه والتمسك به، وضمن لها عدم الضلال إن امتثلت ما امرت، واختصه النبي (ص) بامتيازات ذوى القربي، واستخلافها وترئيسها، وتأميرها، ونصرها من حارب نبيها، وكذبه ونابذه وكاده، وآذاه واجتهد في أن يقتله، وفي أن يهلك الإسلام ويمحوه، ومن حذر النبي (ص) الأمة منه، واخرجه من قرابته، فلم يجعل له حظا من سهم ذوى القربي، فكيف يستحق نصيبًا في الخلافة من لم يستحق ذرة من المال، وكيف يقيم دين الله اعدى عدو لله ولرسوله.

وليت بنى امية إذ انزلتهم الأمة الإسلامية المنزلة التى لم يجعلها الله لهم، وملكتهم زمامها عدلوا وأصلحوا، وعملوا خيرًا.

ولكنهم أفسدوا وفسقوا وجاروا، واستأثروا بأموال الأمة كلها، وأهلكوا عترة نبيها (ص) قتلا وتشريدًا وأهانوا أنصاره، وبدلوا الأحكام، حتى قرروا عند أهل الشام أنه لا قرابة لرسول الله (ص) يرثونه إلا بنى أمية، وقال نائبهم الحجاج جهارًا على المنبر، رسولك أفضل أم خليفتك، يعرض بأن عبدالملك بن مروان أفضل من رسول الله (ص).

وقام ابن شُفَى فى مجلس هشام بن عبدالملك فقال امير المؤمنين خليفة الله، وهو اكرم على الله من رسوله فأنت خليفته ومحمد رسول الله.

وصرح اميرهم خالد بن عبدالله القسرى على منبر مكة بأن عبدالملك بن مروان افضل من خليل الرحمن (ص) كما نقل هذا ابن جرير.

وقال يوسف بن عمر عامل هشام بن عبدالملك في خطبته يوم الجمعة: إن اول من فتح على الناس باب الفتنة، وسفك الدماء على وصاحبه الزنجى، يعنى عمار بن ياسر.

وقد صحح الحاكم حديث على فى قوله عز وجل ﴿واحلوا قومهم دار البوار﴾ قال: هما الأفجران من قريش: بنو امية، وبنو المغيرة، فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم، واما بنو امية فمتعوا إلى حين.

وبعد ذكر المقريزى اكثر ما تقدمت الإشارة إليه افاد انه طالت حيرته، وتفكر فى ذلك سنين عديدة، وذاكر به مشيخة ممن لقيهم، فلم يجد طول عمره غير رجلين احدهما قد عراه ما عرا المقريزى من الحيرة، وثانيهما مقلد لا يزيد مذاكره على التهويل شيئا.

اول الأوهام / ثم اتضح للمقريزى رحمه الله أن سبب طمع بنى أمية فى الخلافة رغما عما تقدمت الإشارة إليه من حالهم المنافى لها، وسبب منعها عن بنى هاشم، مع تحليهم بشروطها واستحقاقهم لها. هو أنه لما مأت رسول الله كان عامله على مكة عتاب أبن أسيد الأموى، وأقره أبو بكر، وكان على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص الأموى، وعلى البحرين أبان بن سعيد بن العاص الأموى، أو كان على البحرين العلاء بن العطرمى، وهو حليفهم، وعلى تيماء وخيبر وتبوك، وقدك عمرو بن سعيد بن العاص الأموى، الأموى، وقيل، كان عليها أنصارى،

وقيل: إن ابنه يزيد كان ممن يجمع الصدقة، وكان على جرش حليف لبنى امية من الأزد.

وقال عمر بن عبد العزيز، لما مات النبي (ص) كان من عماله اربعة رجال من بني امية.

ثم ذكر المقريزى أن العمال على سائر النواحى كانوا من غير بنى هاشم قال: فإذا كان النبى (ص) قد اسس لهم الأساس، وأظهر بنى أمية للناس بتوليته لهم الأعمال، فكيف لا يقوى ظنهم، وينبسط رجاؤهم.

وكيف لا يقصر أمل بنى هاشم، وقد ذكر البخارى عن الزهرى أن العباس عم النبى وأكبر بنى هاشم سنا، وعليًا أخا النبى يريد أحدهما أن يستعلم الآخر من النبى (ص) فى أيام مرضه هل الأمر فيهم أم فى غيرهم؟ فيأبى ذلك.

وذكر قول العباس لعلى؛ امدد يدك ابايعك، فيقال؛ عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، ويابيعك اهل بيتك، فإن مثل هذا الأمر لا يؤخر، وقول على للعباس؛ يرحمك الله ومن يطلب هذا الأمر غيرنا، او معناه، هذا على اختلاف الروايات.

وسيأتى بيان ما اختلفوا فيه من إصابة ايهما وجه الراى، وذكر انها رويت مع ماذكره احاديث كثيرة، إن كانت صحيحة فلا سبيل إلى ردها، وإن كانت مفتعلة فقد كانت داعية إلى الأمر الذى وقع النزاع فيه.

واتبعها ببعض احادیث الفتن التی فیها ذکر ملك بنی امیة، وجبروتهم، وتخاذهم مال الله دولا، وعباد الله خولا، ورؤیا النبی (ص) بنی الحكم، او بنی العاص ینزون علی المنبر نزو القردة فلم یر (ص) مستجمعًا ضاحكًا حتی توفی، وما فی معنی ماذكر.

واردفه بأن أبا بكر ولى عددًا من بنى أمية، وحلفائهم، وكذلك فعل عمر، ولم يوليا أحدًا من بنى هاشم.

والنتيجة ان هذا وما يشبهه هو الذي حدد انياب بنى امية، وفتح ابوابهم، واترع كأسهم، وقتل امرائهم، حتى لقد قام ابو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضى الله عنه، فقال: رحمك الله ابا عمارة، لقد قاتلتنا على امر صار إلينا.

وروى أن الأمر لما أفضى إلى عثمان بن عفان أتى أبو سفيان قبر حمزة فركله برجله، ثم قال، ياحمزة إن الأمر الذى تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، وكنا أحق به من تيم وعدى.

الثانى، ثم ذكر المقريزى اختصاص اهل البيت بالفضلواختيار الله لهم الآخرة، وقال: كان غير واحد من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم يعلمون أن آل البيت أرفع قدرًا عند الله من أن يبتليهم بأعمال الدنيا، منهم عبدالله بن عمر رضى الله عنه وذكر ما روى أنه قاله للحسين؛ والله لا يليها أحد منكم، وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم.

وروى أن ابن عباس قال للحسين، ماكان الله ليجمع لكم بين النبوة والخلافة، قال، وهذا من فقههما.

وذكر اختيار رسول الله (ص) أن يكون عبدًا على أن يكون ملكًا.

وذكر زعم بعضهم أن السر في خروج الخلافة من على إلى أبى بكر وعمر، لئلا يقال: ملك متوارث.

قال: وقد ظهر لى أن ولاية رسول الله (ص) بنى أمية الأعمال كانت إشارة منه (ص) إلى أن الأمر سيصير إليهم.

وذكر أن له فى مثل هذا التأويل سلقا، وهو ابن المسيب فى تأويله جلوس النبى (ص) مع ابى بكر وعمر فى قف البئر فى جانب، وجلوس عثمان منفردا مقابلهم بأن قبورهم تجتمع ثلاثة، وينفرد عثمان، ثم اطال بذكر تشبثات لا يثبت شىء منها على المحك.

كذكره أن صيرورة الخلافة إلى بنى العباس إنما كانت أيام ضعف الدين لعدم استحقاقهم الخلافة، وذكر طرفا من فظائع جبابرتهم وفراعنة عمالهم عاملهم الله بعدله آمين.

وشرع بعد ذلك في المقارنة بين ما كان في الأمة الموسوية، وما صار مثله في الأمة المحمدية حذو القذة بالقذة.

فذكر انه خلف بعد موسى يوشع بن نون عليه السلام، وهو من سبط آخر، وبعده عن موسى كعبد أبى بكر عن النبى محمد (ص).

وخلف بعد يوشع جماعة مختلفة انسابهم، كما قام بعد أبى بكر رجال مختلفة انسابهم.

ثم استقر امر بنى إسرائيل فى بنى يهوذا عم موسى عليه السلام، وكذلك استقر امر المسلمين فى بنى العباس عم النبى محمد (ص)، وذكر امورا سلك فيها الآخرون سنن من قبلهم، إلى أن قال ما معناه، ولم يجتمع أمر بنى إسرائيلبعد زوال دولتهم على

واحد يقوم بدينهم، فكذلك المسلمون لم يتفقوا على خليفة واحد بعد بنى العباس، اى أولهم.

وبنواسرائيل قطعهم الله في الأرض امما، وكذلك قريش تفرقوا وصاروا رعية.

وبنو إسرائيل جهلت أنسابهم إلا بعض بنى يهوذا، فإن نسبهم يتصل بداود عليه السلام، وكذلك قريش جهلت أنساب بطونها ماخلا بعض بنى حسن وحسين، فإن أنسابهم متصلة بعلى.

فانظر اعزك الله كيف شابه امر هذه الأمة امر الأمة اليهودية، مصداقًا لما انذرها بها رسول الله (ص) فيما صح وثبت عنه، فكان ذلك من اعلام نبوته، كما بينته في كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء و الأحوال والحفدة والمتاع.

عن أبى سعيد قال: قال رسول الله (ص)؛ (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا، يا رسول الله اليهود والنصارى؛ قال: فمن) اخرجاه في مسلم والبخاري وله طرق.

الثالث، وقد انتهى ما اردنا استخلاصه من كلام المصنف رحمه الله ممزوجا بما زدناه عليه مما يقويه، ويوضحه ووفاء بما وعدنا به من تبيين ما دخل على المصنف من وهم وغلط، نقول: إن جميع ما ذكره المصنف في بني امية من بعدهم عن رسول الله وعن ولايته، وولاية المؤمنين، ومن إخراجه (ص) لهم من قرابته إقصاء لهم، وطردا، ومن اتصافهم بعدواة الله ورسوله والإسلام واهله، وبالإلحاد والزندقة، والنفاق والنذالة، والعهار والدياثة، والخيانة، ومن مجازاتهم بالإساءة كل من احسن إليهم، ومن جبروتهم وظلمهم وعسفهم، وجشعهم وطمعهم، كل ذلك ثابت واقع لا شك فيه ولا مرية.

وكله مما يوجب على المسلمين إبعادهم وكبهم والاحتراس الشديد منهم، والحذر من سموم ضلالهم، وعدم الركون إليهم، وكله مما يوضح أن النزاع إنما كان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وما أحسن ما أتى به من المقارنة والتنظير بين ما وقع من الأمة المجمدية، حذو النعل، وما كان أحرى الأمة بتجنب تلك المهاوى بعد إنذار نبيها لها، وإرشاده لها إلى ما فيه ضمان هداها.

فإننا لا نشك فى ضلال اليهود، وفى ان الله غضب عليهم، لمخالفتهم أوامر ربهم، ولولا ذلك لما حدرنا نبينا (ص) من اتباع سننهم، وأنذرنا رحمة منه بنا وإتماما للحجة علينا، ولذلك نقطع بضلال من نبذ التمسك بأهل بيت رسول الله واتبع سنن بنى إسرائيل.

ولا يلزم من كلامنا هذا الحكم بضلال جميع الأمة، كلا كيف لا، وقد صح عن النبى (ص) أن ربه اللطيف الخبير أنبأه وله الحمد والمنة أن أهل بيته، وكتاب الله لن يفترقا إلى ورود الحوض، فهم ومن تمسك بهم أهل الحق، وهم الفرقة الناجية، وهم الطائفة التي لا تزال على الح لا يضرها من ناواها.

وبما تقرر مما ساق اكثره المصنف تتم الحجة في فصل الحكم فيما فيه النزاع، ويمتاز أهل الحق من المتبعين سنن من قبلهم.

ومن العجائب إتيان المصنف به وعدم فهمه له مع وضوحه وظهوره، والسبب في اشتباه الأمر عليه حتى كثر تحيره، ومذاكرته مشيخته طول عمره به عيما نرى والله أعلم - هو إن شاء الله ما جرت به العادة غالبا من نشأة الإنسان على ما عليه أهل شارعه وبلده وقومه وإعظامه لمن يعظمونهم، واعتقاده أنهم أهل الحق، وأن مخالفتهم ضلال.

فينتحل التاويلات لكل ما يتراءى له من واضع خطائهم وأوهامهم، هكذا جرت

العادة، ولهذا كذبت الأمم رسلها، واستكبرت وكبر عليها أن يكون الخطأ حليف من ارتكز تعظيمه في قلوبهم، وهذا حجاب عن معرفة الحق، قل من خرقة إلا من وفقه الله واعانه.

إن المصنف و امثاله كثير لل بهره سطوع نور الحق، وظهر له ضلال من ضل تحير، ولم يصدق عقله، ولم يقنع بقواطع الحجج، بل استرسل مع الأوهام، وذهب يغالط نفسه، ويحاول ستر شمس الحق بخيوط من نسيج العناكب متتبعا للوساوس والخيالات الواهية.

وإذا تأمل الموفق المنصف صنيع كثير من العلماء في امثال هذه المواضيع مما تعصبوا له وجمدوا عليه، واشربته قلوبهم، وارتضعوه مع اللبن، وربوا عليه يجدهم يتشبثون بأذيال الأوهام هيبة للإنفراد عن الجماهير، ونضالا عن آراء كبار مقلديهم وإعظاما لمقام سابقيهم، وتخوفا من أن ينبزوا بالقاب مكروهة عند العامة، كالرفض مثلا، وحذرا من أن تعوى خلفهم كلاب الطواغيت من سفلة العلماء فيتعمدوا إطفاء نور الفرة، وإغماض عين البصيرة، وطمس معالم الهدى، وتخدير الضمائر بنحو قولهم، كذا قالوا، ولو لم يكن لهم مستند لما قالوا، وكقولهم، يسعنا ما وسعهم، وهم اعلم منا واروع، وداعى الإنصاف يناديهم بلسان الحق المبين «هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» [اين السورة].

والحق أن الذين هم أعلم وأروع هم من قال النبى (ص) فيهم (تعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) وهم الذين ضمن عدم الضلال للمتمسك بهم الذين من تقدمهم هلك، ومن تأخر عنهم هلك، ومن خالفهم ملك، وصار حزب إبليس.

الرابع؛ زعم المصنف رحمه الله تعالى أن الأمر اضتح له لنظره في امور هي أن

رسول الله (ص) لما توفاه الله تعالى كان رجال من بنى امية وحلفائهم عمالاً له، ولم يكن احد من قرابته (ص) إذ ذاك عاملاً.

وبنى المصنف على هذا قوله، فإذا كان رسول الله (ص) قد اسس لهم هذا الأساس، واظهر بنى أمية لجميع الناس بتوليته لهم الأعمال. الخ.

فقد جعل المصنف تأسيس دولة بنى امية مبنيًا على هذه الشبهة الواهية، مقويًا لها بما رواه البخارى عن الزهرى من إشارة العباس على على بسؤال النبى عن الخلافة. الخ.

مؤيدًا ذلك برواية البخارى ايضًا قول العباس لعلى، امدد يدك.. الخ وجواب على عليه.

داعمًا جميع دعاويه بأحاديث الفتن التى حذر النبى (ص) امته فيها جبروت بنى امية، واستبدادهم وطغيانهم لئلا يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم من الأمم، وليعتصموا بحبل الله وعترة نبيه.

ثم اتبع ما أشرنا إليه بما صنعه ابو بكر وعمر من توليتها جلائل الأعمال رجال بنى أمية، وعدم توليتها أحدًا من أهل بيت رسول الله (ص)، وقد جعل ما ذكره ترشيخا لبنى أمية، وتطريقا لهم إلى الخلافة، وحملاً لهم على أعناق الأمة، وإقصاء لبنى هاشم، وإبعادًا لهم عن ما هم أحق خلق الله به، وسدًا لباب الخلافة عنهم .. الخ الخ.

والصواب إن شاء الله تعالى انه قد كان ممن ولاه النبى (ص) جمع شياه الصدقة وبعرانها، وما اشبه ذلك رجال من بنى امية يعدون على اصابع اليد على نحو ما نقله

المصنف عن عمر بن عبدالعزيز، وسنبين لك فيما سياتى ماهو مقصود تلك الولاية من النبى (ص) - لا من غيره لاختلاف المعنى والصورة - وبه تعرف جليًا أنها مما لا قيمة له فيما تخيله المصنف.

وما قد يفهمه قول المصنف انه لم يكن في عمال النبي (ص) احد من بني هاشم من ان النبي (ص) لم يول احدا منهمخ ليس بمراد قطعًا، لأن النبي (ص) ولي عليًا النداء ببراءة بعد ان كان اعطاها ابا بكر، فأمر عليًا أن يأخذها منه وقال له: (لا يؤدي عني إلا أنا أو أنت) رواه أحمد.

فأى ولاية تساوى ذرة من هذا الشرف، وما علينا من تمحلات من ديدنهم تصغير عظيم قدر اخى النبى (ص) وصنوه ﴿حَسَدا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيْنَ لَهُمُ الْحَقُ وَ البقرة، ١٠٩. فليذهبوا في اودية الباطل حيث شاؤوا ومن الهزء قولهم، إن النبي (ص) إنما إنما راعى في ذلك عادة عرب الجاهلية، وقد اعمالهم الغرض عن أن النبي (ص) إنما بعث لهدم الجاهلية وعاداتها الخبيثة، وما أقره (ص) مما كانوا عليه فإنما هو من تراث إسماعيل (عليه السلام)، ولو كان هذا منه لما خفي على النبي (ص) وعلى اصحابه الكرام، وقد كان لواؤه الخاص في المواطن بيد اخيه على وولاء على اليمن، كما ولاه إصلاح ما أفسده خالد بن الوليد، وتهدد من تلكا عن الإسلام ببعثه عليهم خاصف النعل، وهو على، وقال؛ (هو عديل نفسي وولي كل مؤمن بعدي) وتواتر قوله فيه (من النعل، وهو على، وقال؛ (هو عديل نفسي وولي كل مؤمن بعدي) وتواتر قوله فيه (من كنت مولاه فهذا مولاه) الحديث متواتر ولم يول عليه أحدًا طول حياته الشريفة، نفسي له الفداء إلى ما لا يحيط به الحصر من ومن ومن.

فيا عجباء لم ير المصنف جميع ما ذكرناه مع ما احاط به علمه مما في معناه ترشيحًا لعلى للخلافة مع توفر شروطها فيه، واتصافه بجميع ما اتصف به غيره من الصفات الجميلة الحسنة، وعدم اجتماع ما فيه منها في احد ابدًا.

وفهم واتضح له أن ما قيل من توليته لمن ولاه من بنى أمية لما سنذكره من الغرض لا أنها كانت ترشيحا للخلافة.

فمن اغرب الغرائب وابعدها عن العقول والفطر السليمة ان يفهم احد او يقول، اتضح لى أن الأمة إنما استسلمت إلى بنى أمية أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام، وولتهم، وأقصت أخا نبيها، وأصدق صديق له، وقتلت ذريته وشردتهم لما تخيله المصنف.

وقد ولت الأمة أبا بكر وعمر، ثم عثمان بدون ترشيح إذ لم يولهم النبى (ص) اعمالا تذكر، ولم تفهم الأمة أن في ذلك إقصاء لهم عن الأمر، وأن عمال الزكوات وجباة الخراج أحق به منهم، وكذلك لم يحتج أحد بشيء مما بني عليه المصنف العلالي والقصور يوم السقيفة، ولا يوم الشوري، ولم يتضح لأحد منهم ما اتضح له، ولكن الوهم قد يربو فيغمر العقل فتتجسم له الخيالات.

وقد مات رسول الله (ص) وأسامة أمير على أبى بكر وعمر وكثير من المهاجرين والأنصار، ورايته عليهم معقودة، فلم يفهم هو ولا غيره أن ذلك ترشيح له للخلافة، وهو هو.

اما السبب في تولية النبي (ص) من ولاه من بني امية، ومن ضارعهم فيما يظهر لنا فهو انهم كانوا من الد اعداء المسلمين، واشدهم نكاية فيهم فثارات المسلمين عندهم كثيرة، وحنقهم عليهم شديدة، وقد تقدم ذكر نموذج مما كانوا عليه، ثم كان إسلامهم عن قهر، وكره وغلبة، ولم تنزل تبدو منهم فلتات تدل على انهم إنما اظهروا الإسلام واسروا الكفر، فكان نفار المسلمين منهم عظيما، وكرههم لهم متاصلا، وتقززهم منهم مستمرا.

روى ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال؛ قال عمر بن الخطاب لأبي سفيان

ابن حرب، لا أحبك أبدا، رب ليلة غممت فيها رسول الله (ص).

فهل ترى عمر يعتقد صحة إسلام ابى سفيان، ثم لا يحبه ابدا لذنب محاه الإسلام، حاشا ولكنه عرف نفاقه، وإصراره على ماكان عليه.

جاء فى الأخبار الصحيحة ان جماعة من اصحاب الصفة مرّ بهم ابو سفيان بن حرب بعد إسلامه فعضوا ايديهم عليه، وقالوا، وااسفاه كيف لم تأخذ السيوف مآخذها من عتق عدوّ الله، وكان معه ابو بكر، فقال لهم؛ اتقولون هذا لسيد البطحاء، فرفع قوله إلى رسول الله (ص) فأنكره، وقال لأبى بكر؛ انظر لا تكون اغضبتهم فتكون قد اغضبت ربك، فجاء ابو بكر إليهم وترضاهم، وسألهم ان يستغفروا له، فقالوا؛ غفر الله لك. رواه مسلم.

اترى رسول الله (ص) يقر ما قاله اهل الصفة لوكان ابو سفيان صحيح الإسلام حاشا وكلا، فأراد النبى (ص) من جهة تأليف قلوب اولئك الأعداء، ومداواة اودهم، ولددهم ومن جهة تخفيف نفرة المسلمين منهم، وتقريبهم إليهم، بتوليته لهم ولاهم عليه، ومن جهة ثالثة تفريقهم في الأطراف لئلا يتألف منهم حزب ضلال وإضلال، ومن جهة رابعة إبعادهم عن المدينة لئلا يبقوا بها عيونا وجواسيس للأعداء، ومأوى ومكمنا لكل غادر خبيث، ولئلا يفسدوا قلوب من في قلوبهم مرض، من ضعفاء اليقين في فر خرَجُوا فيكم ما زَادُوكُم إلا خَبَالا المها التوبة، ٤٧.

وقد سبق ذكرنا لأن اكثر ما ولاه رسول الله (ص) اولئك الملموزين في دينهم المدخول إسلامهم ولم تكن ولايات ذات خطر، سيما في تلك الأعصار بل هي من جنس ما ولاه الخائن ابن التبيه، والفاسق بنص القرآن ابن ابي معيط من جمع اعنز وضأن اباعر بسيرة صدقة من الأعراب، او جزية قليلة لو حولت إلى عملة زمننا هذا لما ساوت

ما يستلمه محصل متوسط، أو هى أشبه بإمامة كفر صغير، أو عرافة عريف كتيبة تغير على طرف من الأطراف، وتحل حين تعود، فلا يجوز أن يبنى عليه أكثر مما ذكرناه مهما بالغنا فيه.

الرسول وبنى هاشم، وأما عدم إكتار النبى (ص) من تولية بنى هاشم وأجلاء الصحابة، وتفريقهم فى الأطراف، فله أسباب، ولا يجوز أن يكون فى ذلك إقصاء لهم عن الخلافة، كما زعم المصنف أتضاح ذلك له، أو قطعًا لطمعهم فيها،

منها، أن بقاءهم بجوار رسول الله (ص) يحفظون ما ينزل من القرآن، ويتلقون ما تجدد من السنة ليبلغوا ذلك إلى الأمة أهم وأكثر تفعًا للأمة من تحصيل نعم الصدقة، ونحو ذلك.

ومنها: أن ذهاب أولئك الأقرباء والخواص إلى الأطراف يعرى به جانب رسول الله (ص) ويبقى بعدهم بين كثير من المنافقين الذين مردوا على النفاق من أهل الضغائن المتربصين بالإيمان وأهله الدوائر.

ومن عرف انه قد فر جمهور الصحابة عن رسول الله (ص) ولم يثبت معه إلا نفر قليل في بعض المواطن، ثم في حنين ولوا عنه مدبرين، ولم تمنعهم بيعة الحديبية عن الفرار، ولم يثبت معه إلا أناس من أهل بيته فقط، كما ثبت في شعر العباس وغيره، فهل يكون من الصواب تفريق المحبين المخلصين الناصحين المستميتين في نصر الله ورسلوه في السباسب والقفار واطراف البلاد لجمع الزكوات، أو الجزية إن ذلك لبعيد عن الصواب.

وبهذا يظهر جليًا بطلان ما استنتجه المصنف رحمه الله، وبني عليه ما بني، وفيه

كفاية لن يفهم، وينصف إن شاء الله تعالى.

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من احاديث الفتن وما فى معناها مما فيه نحو بنى مروان على المنبر الشريف نزو القردة، أو اتخاذهم مال الله دولا وعباد الله خولا لله، وقلبهم الدين ظهرًا لبطن.

فإن كان في ذكر أنبياء بني إسرائيل هلاك اليهود، وتحريب المسجد ترشيح وتأسيس لملك بخت نصر.

او كان فى ذكر رسول الله (ص) بنى قنطوراء تمهيد لاستيلائهم على الأمة وإذلالها.

او كان فى ذكره عليه وآله الصلاة والسلام المسيح الدجّال إغراء للأمة على الاستخذاء له، والتسليم إليه، ووضع زمامها بين يديه إن كان شيء مما ذكرناه كذلك.

فإن ما جاء من ذكر بنى امية وعسفهم واستبدادهم وظلمهم وما صح من اتباع الأمة سنن من قبلها تمهيد لملك بنى امية، واستداد كل جبار وظالم، وكون هذا من اكبر الباطل بين، فكذلك ما توهمه المصنف.

ومن الحق الذى لا شك فيه أن إخبار النبى (ص) بوقوع أمر يفيد أنه سيقع حتماً بدون خلف، وفق ما أخبروا ولكن مجرد الخبر لا يفيد أن المخبر عنه حق أو باطل، نعم إن اقتران الإخبار بالغبطة بالمخبر به، والتحبيذ له، والمدح له، أو الأمر به، فذلك الأمر حق، والسعيد من وفق له.

وإن اقترن به ضد ما ذكر فهو ضلال والشقى من علق به.

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من تولية ابى بكر رجالاً من بنى امية اعمالاً في مكن حمل شيء منها على ما تقدم بيانه في تولية رسول الله (ص) لمن ولاه من المغموصين، ويجوز أن يكون لشيء منها مغزى سياسى، وتولية عمر يتراءى أن جانب السياسة في بعضها أظهر والله أعلم.

واما عدم توليتها اهل بيت رسول الله (ص) الأعمال فلا اعلم له معنى دينيًا، وفوق كل ذى علم عليم.

وما رواه عن ابن عمر انه قال للحسين بن على: والله لا يليها أحد منكم. الخ، إن صح فهو غلط واضح، ومثله ما روى عن ابن عباس في هذا المعنى، ويقرب كل القرب أن ذلك كذب موضوع، لأنه يبعد أن ينسى ترجمان القرآن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكَتَابَ وَالْحَكْمَةُ وَآتَيْنَاهُم مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ النساء: 3٤.

ولقد كان نبيا محمد (ص) مع كونه نبيا عبدا خالصا - يحكم بين الناس بما انزل الله، ويجبى الأموال ويقسمها كما امر الله، ويقود الجيوش محاربا وغازيا لمن حاد الله، ولو كان لما زعموه عن ابن عمر وابن عباس اصل لما كان نبيا (ص) إلا كبعض أنبياء بنى إسرائيل الذين اقتصروا على إرشاد ملوكهم، ونصحهم، وليس لهم من الأمر شيىء، وهيهات هيهات.

ولقد كان على عليه السلام صنو النبى (ص) واخوه مع كونه افضل من غيره قد لابس ما لابس من امور الخلافة، ولم يك ذلك لهوانه على الله تعالى حاشا وكلا، وهكذا الأمام المنتظر عليه السلام، ولكنها الغفلة واستشعار عظمة من نسب إليه القول تحمل

المرء على قبول الكلام المتهافت الباطل.

وما ذيل به المصنف ما نقله عن ابن عمر وابن عباس، وهو لفظ، (وذلك من فقههما) كلمة فيها جفاء شديد، وهل يظن عالم عاقل مصنف أن الحسين ابن رسول الله، الذي خرج في سبيل الله مؤديا للواجب العيني عليه، قليل الفقه فيما استشهد في سبيله حاشا وكلا.

ولعل المصنف وجد تلك الكلمة العوراء فيما نقل عنه من الكتب، فكتبها غافلا عن مدلولها، كما فهم من خطبة الحسن بعد الصلح خلاف ما تدل عليه، ومثله فهمه من على الصدقات الإشارة إلى الإمامة العظمى، وكل ذلك خطأ باطل كما تقدم بيانه.

وما ذكره من أن سر خروج الخلافة عن أهل البيت هو لئلا يقال: ملك متوارث، وما في معنى ذلك فهو مما لا قيمة له، لأن الخلافة مقام ومنصب ديني، ولن يتم ويحصل منه الغرض إلا إذا قام به اخص الناس بالدين، وأولاهم بالمسلمين.

ولو كان لمثل تلك الترخصات والتفوهات حكم لما أوجب الله الصلاة على النبى وآل بيته (ص)، ولما جعل لهم الخمس، ولما افترض على الأمة حبهم فالجواب عن هذه الأمور هو الجواب عن الخلافة.

ومن المضحكات قوله: إن الخلافة صارت إلى بنى العباس لضعف الدين لعدم استحقاقهم لأنه يفيد أن الضعف في الدين إنما حصل حينتًذ مع أنه لم يزل وما كان سبب حصولها لنبى أمية شرا مما هو سبب حصولها لنبى العباس بل هذا ابن ذاك، والشر لا ينبت إلا شرا، فالضعف قديم، والماء صرف من الأعالى والداء مزمن جدا.

وما نقله المصنف عن البخارى عن الزهرى من إشارة العباس على على في ايام مرض النبى (ص) بأن يسأله عن خليفته، واباء على ذلك فغير صحيح عندنا لمعارضته لما هو اقوى منه مما لا تحوم التهم ولا الشكوك حوله مما يقوله على، ويكرره علانية، في خطبه وكلامه، ومجموعه يوجب القطع بصدوره منه.

وهذا المصنف نفسه قد نقل عن البخارى وغيره عن الزهرى وغيره قول على للعباس في محاورتهما في امر الخلافة، وه يطمع فيها غيرنا، او ما معناه هذا على اختلاف الروايات، وليس بين صدور المقالة الأولى، وبين صدور الثانية، إلا ساعات غير كثيرة لو صح قولهم، ومن ذلك يظهر جليا للمتامل المنصف ان بعض تلك الروايات كذب مخترع، وكذلك كل ما في معناها، فإنما أحدثته السياسة، وصححته القوة، وروجه سماسرتها من متاجري علماء السوء، وسهل ذلك الإرسال والتجويد بطي اسماء رجال بعض سلسلة الإسناد إذا كانوا من طبقة واحدة في المعاصرة، وكل هذا كان في تلك الأيام مشهوراً.

والزهرى من اكبر رواة الصحيح، وقد كان من صنائع بنى مروان، وعمالهم، بل هو من المنقطعين إليهم، ومن التقربين إلى أهل الدنيا فلا غرو إن روى ما يروج به أمرهم تزلفا إليهم، أو دفعا لشرورهم عنه، أو إبعادا لشكوكهم فيه.

جاء فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى، ﴿وَلا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظُلَّمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ هود، ١١٣، قال، قال الحسن رحمه الله، جعل الله الدين بين لاءين ﴿ولا تطفوا.. ولا تركنوا ﴾.

ولما خالط الزهرى السلاطين كتب له اخ في الدين، عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعوا لك الله، ويرحمك، اصبحت شيخا

كبيرًا قد اثقلت نعم الله بما فهمك من كتابه، وعلمك من سنة نبيه، وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء (١).

قال الله سبحانه، «لَتبَيْنَهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ « [آل عمران، ۱۸۷] واعلم ان ايسر ما ارتكبت، واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا، ولم يترك باطلا حين ادناك، اتخذوك قطبًا تدور عليك رحا باطلهم، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلمًا يصعدون فيك إلى ظلالهم، ويدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال، إلى آخر ما قال. انتهى.

قال المحدثون؛ إن السند ولو كان كالشمس وضوحًا لا يفيد صحة المتن المنكر.

قال الحافظ بن عبدالبر في الاتبعاب عند ذكره احاديث مما رواه البخاري وغيره، وصححها غير واحد، قال، لا تصح لعدم صحة المعنى، أي ولا عبرة حينتذ بصحة السند.

ونقل ابن السبكى فى الطبقات ان محمد بن حنبل اوصى ان يضرب على حديث ابى هريرة الذى فيه الإشارة إلى امر الناس باعتزال قريش، مع ان رجاله ثقاة، وما ذاك إلا لخالفته المشهور من الأحاديث.

قال السيد محمد رشيد رضا، إننى اعلم انه ليس كل ماصحح بعض المحدثين سنده يكون صحيحاً في نفسه، او متفقاً على تعديل رجاله، فكاين من رواية صحح بعضهم سندها، وقال بعضهم بوضعها لعلة في متنها، او سندها، والجرح مقدم على ---

⁽۱) انظر تاريخ الزهرى في تذكرة الحفاظ للذهبي وكتب الرجال. وانظر كتب التاريخ فترة عبدالملك بن مروان.

التعديل، بشرطه، وقد ذكروا من علامات الوضع ما ردوا به بعض الروايات الصحيحة الإسناد. انتهى.

وفى كتابنا العتب الجميل فى هذا المعنى ما يفيد المستفيد فليراجع ذلك من احب(٢).

وما ذكره المصنف من قول العباس لعلى -عليه السلام-، امدد يدك ابايعك، وامتناع على عليه السلام- فقد اختلف في ايهما كان رايه الصواب، والذي يظهر لنا ان كليهما مصيبًا من الجهة التي اعتمدها، ولكن عليًا - عليه السلام- كان أتم إصابة، وابعد نظرًا، وأحكم رايًا، فإن العباس بني رايه على حسن ظنه بالأمة، التي لم تر الخير إلا بواسطة رسول الله (ص) فلم يجوز منها أن تعرض عن أهل بيت نبيها، سيما صنوه وأخيه، وأفضل من تركه بعده، وأكبر مجاهد بين يديه.

وعلى اخترق نظره الحجب فعرف جلية الأمر، وحقيقته، إما بفراسة صادقة، او باخبار احيه له بذلك عن ربه جلّ جلاله، فعلم ما تكنه شجف الغيوب، وضمائر القلوب، فحفظ بماصنعه الإسلام عن الزوال جزاء الله عن دينه وعن نبيه وعن المسلمين خير الجزاء، وما كان فعله ذلك اول خدمة ضحى فيها بكل نفيس غال.

وما رواه المصنف من قيام ابى سفيان على قبر حمزة وخطابه له، وقد تقدم نقله فالرواية الأولى لعلها كانت بالمعنى، تلطيفا للشناعة.

والرواية الثانية هي الصواب إن شاء الله تعالى، وفيها انه ركل قبر حمزة برجله اقتداء بإبليس في ركله جسد آدم عليه السلام.

⁽٢) تم طبع الكتاب بالقاهرة وقد قمنا بالتعليق عليه.

ونرى ان ابا سفيان اراد بمخاطبته حمزة بقوله؛ إن الأمر الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم مقابلة خطاب رسول الله (ص) لأصحاب قليب بدر بقوله: «فَهَلْ وَجَدتُم مًا وَعَدَ رَبُّكُم حَقًا قَالُوا نَعَمْ [الأعراف: ٤٤] وهذا غير كبير ممن وقف على حمزة هذا مقتولا ممثلا به، وقد اكلت زوجته هند كبده، وقطعت آرابه، ومذاكيره فجعلتها حليا لها فضرب بزج رمحه شدق حمزة، وقال: ذق عقق، ذق عقق، ومن القائل لعثمان بن عفان فيما رواه الحافظ بنعبد البرحين استخلف على الناس عثمان: أدرها كالكرة، واجعل أوتادها بنى أمية، فإنما هو الملك، ولا أدى ما جنة، ولا نار.

وقد تقدم نقل المصنف لهذا المقالة.

وقد انتهينا من كتابة ما راينا في بيانه إفادة، وبقيت في زوايا كلام المصنف كلام المصنف كلام المصنف كلام المصنف رحمه الله بقية لا حاجة بنا للكلام عليها مما أطال به فمنها ما هو بديهي البطلان متهافت، ومنها ما للكلام عليه محل آخر، ومنها ما هو صواب، وصحيح ثابت، وهو الموافق لما حققناه.

وتم تسويد هذه الوريقات مع استعجال، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فما كان حقا وصوابا فمن الله وحده، وله الحمد والمنة وما كان باطلا وخطأفمني ومن الشيطان، واستغفر الله للعمد و الخطأ سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وكان الفراغ من تسويدها ظهر يوم الثلاثاء لثمان خلت من شهر صفر عام ١٣٣٧هـ وتم تبييضه ضحى يوم الأثنين لثلاث بقين من شهر رجب عام ١٣٤٢هـ في سنغافورا والحمد لله أولا وآخرا، وصلاته وسلامه على محمد وآله، ومن تبعهم بإحسان، وكتبه بيده العبد محمد ابن عقبل بن يحيى عفا الله عنهم آمين.

فهرس موضوعات الكتاب

٥	- تقديم
49	- النزاع والتخاصم
41	- مقدمة المؤلف
44	- فصل في ابي سفيان ومروان
	- جذور العداء
٥١	- فصل في ذوي القربي
٥٨	- فصل في استحقاق بني امية للخلافة
7.	- فصل في عمال الرسول من بني امية
77	- فصل فيما ورد في بني امية
79	- فصل الخلفاء وبنى امية
Y١	- فصل اختصاص بني هاشم
Y ٦	- فصل في خروج الخلافة
Y9*	- فصل في بني العباس
90	- فصل في اتفاق الخلافة الإسلامية مع الملة الموسوية
+1	- ملحق: فصل الحاكم في النزاع والتخاصم

42557124

يعرض الأسباب التي أحكمت المنافرة بين بني هاشم وبني أمية وانتقلت بعدها إلى الرسول (ص) وآل البيت من بعده ..

وهو الكتاب الأول في موضوعه على مستوى التراث الإسلامي فلم يتحرض كاتب على المستوى القديم والحديث لهذه القضية وذلك بسبب السياسة والحكام والروايات. وقد آن الأوان ليلقى الضوء على هذه القضية الهامة التي انعكست على واقع الإسلام ومستقبله ..

آن الأوان لإعادة قراءة التاريخ الإسلامي بمعزل عن السياسة وأقوال الرجال ..

To: www.al-mostafa.com